

الدكتور بلخير ارفيس

في

تداوليات الخطاب

دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

البحر الساطع للطباعة والنشر
EL-BADR ESSATIÉ IMPRESSION ET ÉDITION



الدكتور بلخير ارفيس

في

تداوليات الخطاب

دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

عنوان الكتاب: في تداوليات الخطاب-دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

اسم المؤلف: الدكتور بلخير ارفيس

الطبعة: الأولى

© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

© البدر الساطع للطباعة والنشر 2020

ردمك: 2-58-513-9931-978

الإيداع القانوني: فيفيري 2020

﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ
الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي
تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأحقاف 15

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

مقدمة

لقد صادف الدرس اللغوي الحديث منذ نشأته العديد من الإشكالات المعرفية التي أثبتت أمرين:

الأول: قصور النظرية المقدمة وعدم قدرتها على فهم اللغة.

الثاني: ضرورة البحث عن الآليات الكفيلة بمحاصرة المعنى وتحديد الدلالة.

ولهذا، فقد مر الدرس اللغوي الحديث في مسيرته للبحث عن اللغة وعن فهمها بمراحل ثلاثة، تشكل كل مرحلة ضلعاً من أضلاع مثلث، قد يتحول في أي وقت ما إلى مربع أو خماسي أو غيرها.

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

لقد أبانت الدراسات اللغوية في اهتمامها بالدال وبنيته عن قصور فضيع في فهم العملية اللغوية، بل حتى لما تم استدعاؤها للاشتغال على الأعمال النقدية في المرحلة البنيوية وجدت نفسها عوضاً أن تبحث عن الدلالة وإفصاحها غارقة في البنية وحدودها؛ وهو ما جعل أغلب الدارسين والنقاد يهتمونها بالعقم؛ ففهم اللغة وإضاءة النص لا يمكن أن يتأتيا من خلال الهياكل الجامدة والقوالب الراكدة

لقد أدت الانتفاضة على الدال إلى الاهتمام بالمدلول، بل جعله بؤرة الدراسة. وكان لعلم العلامات دور كبير؛ حيث ركز على المدلول وما يمكن أن يؤول إليه، ولما تم استدعاؤه إلى الدرس النقدي أصبحنا نتكلم عن لا

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

نهائية المعنى، وأصبحت كل قراءة إساءة قراءة. ورغم تطرفه هذا، إلا أنه لم يستطع تفسير بعض الأفعال اللغوية. فمثلا عندما يقول الأستاذ: الجو حار.

يقوم أحد الطلبة بفتح النافذة. فما علاقة قول الأستاذ بسلوك الطالب؟

لقد أدت الإشكالية السابقة إلى طرح العديد من التساؤلات حول ماهية اللغة والكيفية الحقيقية لإدراكها، وبصورة عاجلة تم اقتراح الاعتماد على أغراض المتكلم ومقصدية، وبعبارة أخرى، دراسة اللغة في الاستعمال، وهو ما يعرف في الدرس اللغوي الحديث بالبعد التداولي في دراسة اللغة.

إن الأخذ بمقصدية المتكلم أثناء إنجازه للفعل التواصلية من أجل فهم العملية اللغوية، لم يكن إبداعا على الإطلاق، فهو في حقيقة الأمر يمثل

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

مرحلة من مراحل دراسة اللغة في العالم الغربي، بيد أنه في التراث العربي واضح وجلي، بل لقد استفاد الدارسون العرب في دراسة هكذا قضايا لفهم لغتهم وتفسير تراثهم، بل إن جل ما يطرحه الدارسون الغربيون ليجد له الأثر المباشر في التراث العربي وإنما الاختلاف في كيفية الطرح أو الترجمة فقط. إن همنا الوحيد في هذا المنجز أمران:

- تقديم الدرس التداولي للطلبة والباحثين بصورة مبسطة، فيسهل الإدراك،
وتعم الفائدة

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

-إسقاط المفاهيم التداولية على الدرس البلاغي عند العرب، لتبين أهم الفروق بينما أحدثه الدرس اللغوي الحديث وما تبناه الدارسون العرب القدامى في الشق البلاغي.

لقد كان اختيار الشق البلاغي دون غيره؛ كونه العلم الأكثر اهتماما وإماما بقضايا التخاطب والاتصال بين مستعملي اللغة في جميع جوانبها الظاهرة والمضمرة، والتي تعرف بالأغراض البلاغية.

وتحقيقاً لهذين الهدفين، كان لا بد لنا من تقسيم هذا الكتاب إلى جزأين:

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

يهتم الجزء الأول بالجانب النظري للتداولية؛ انطلاقاً من مفاهيمها اللغوية والاصطلاحية، مروراً بأصولها الفكرية والفلسفية ثم وصولاً عند أهم النظريات التداولية.

أما الجزء الثاني فيهتم بإسقاط تلك المفاهيم على الدرس البلاغي القديم لتوضيح الفروقات وتبيين المتشابهات، وفق توزيع منطقي للمباحث البلاغية الثلاثة، وخصوصاً علمي المعاني والبيان.

إننا نقر في مقدمة هذا الكتاب من أن الانفجارات المعرفية في شتى المجالات قد أدت إلى إلغاء تلك الحدود الوهمية بينها، خصوصاً في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وعليه، فإنه من التجني على أي علم من أن

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

يرصد له كتاب واحد، ولهذا فمحاولتنا هذه ما هي إلا كمن يغرف من بحر، وعزاًؤنا في هذا كلها، أننا نحاول تقديم رؤية ولو مبسطة، يمكنها أن تشكل هي بنفسها بؤرة بحوث لاحقة.

الباب الأول:

التداولية: مفهومها أصولها ونظرياتها

الفصل الأول: تعريف التداولية

1- لغة:

أ- عند العرب: أصل الكلمة مشتق من المادة اللغوية "دول"، وقد ورد في معجم مقاييس اللغة أنها تدل على شيئين: "أحدهما يدل على تحول الشيء من مكان إلى آخر، والآخر يدل على ضعف واسترخاء، فقال أهل اللغة: اندال القوم؛ إذا تحولوا من مكان إلى آخر، ومن هذا الباب، تداول القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض. والدولة والدولة لغتان. ويقال: بل الدولة في المال، والدولة في الحرب، وإنما سميا بذلك من قياس الباب، لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا على ذاك، ومن ذاك إلى هذا"¹

وجاء في أساس البلاغة: "دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكثرة لهم عليه، والله يداول الأيام بين الناس: مرة لهم ومرة عليهم. ويقال: الدهر دول وعقب ونوب. وتداولوا الشيء بينهم، أي مرة لهذا ومرة لذلك. والماشي يداول بين قدميه؛ أي يراوح بينهما"²

¹ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، ط1991، ج2، ص314
² الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، 1988، ج1، ص303

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

جاء في لسان العرب: "تداولنا الأمر، أخذناه بالدول، وقالوا: دوايك، أي مداولة على الأمر... ودالت الأيام، أي دارت. والله يداولها بين الناس. وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة... ويقال: تداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعاورناه. فعمل هذا مرة وهذا مرة"¹

وقد ورد أصل هذا المصطلح في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: "وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ"²

ومعناها: "نداولها: نصرفها بين الناس، ندبل تارة لهؤلاء، وتارة لهؤلاء، كقوله وهو من أبيات الكتاب:

فيوما علينا ويوم لنا
ويوما نساء ويوما نسر"³

وإذا نظرنا إلى صيغة التداولية وجدناها على صيغة تفاعلية، من صيغة تفاعل التي تدل على المشاركة، وهو ما تحمله لفظة التداولية؛ إذ إن هناك إجماعاً على أن معناها التحول، والتنقل من جهة إلى أخرى، وهو ما يتطلب على الأقل طرفين كي يحدث بينهما التفاعل، وتتم بينهما المشاركة. وهو "حال اللغة؛ متحولة من حال لدى المتكلم إلى حال أخرى لدى السامع. ومتنقلة بين الناس يتداولونها بينهم. ولذلك كان مصطلح

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، (2013، 1434)، مج3، ص451

² سورة آل عمران 140

³ الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة للطباعة، بيروت، ج2، ص435

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

(تداولية) أكثر ثبوتا- بهذه الدلالة- من المصطلحات الأخرى
الذرائعية، النفعية، السياقية... وغيرها"¹
ب- عند الغرب:

إن أصل مصطلح pragmatique في اللاتينية pragmaticus وفي الإغريقية
pragmaticos، وإنهما ليشتركان في الأصل pragma والتي تعني الفعل، ثم أصبحت
بفعل اللاحقة تطلق على كل ما هو عملي أو واقعي²

"وتنسب الموسوعة البريطانية أول استعمال لها إلى المؤرخ الإغريقي بولبيوس (118 ق
م) وقد أطلق هذه التسمية على كتاباته لتعني آنذاك تعميم الفائدة العملية ولتكون منبرا
تعليميا، ومنها اشتقت اللغة الإنجليزية جميع المفردات التي ترتبط بكلمة
"practice" وأهمها: practical التي من رحمها ولدت ما يسمى بالفلسفة
الذرائعية أو البراغماتية pragmatism التي ذاع صيتها في القرن 19 وبشكل خاص
في أمريكا"³

وقد وضع الدارسون العرب عدة ترجمات منها: النفعية، الذرائعية، التخاطبية، والتداولية
وهذا الأخير هو الأكثر انتشارا، وقد وضعه طه عبدالرحمان حيث يقول: "وقد وقع

¹ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة، العالمة، الجزائر ط 1، 2009 ص 148

² ينظر : جون سيبسون، جيمس موراي، قاموس أوكسفورد، جامعة أوكسفورد ص 526

³ دنجا طويبا كوركيس، البراغماتية الفائدتية، جامعة جدار للدراسات العليا، الأردن ص 58، 59

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

اختيارنا من 1970 على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي (براغماتيقا) لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيين: الاستعمال والتفاعل معا، ولقي من ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم¹ غير أننا ما نلاحظه على هذه الترجمة هو نزعتها لتقريب المفهومين معجميا، أكثر منه موضوعاتيا؛ فالتداول وإن نزع إلى التفاعل والاستعمال، فإن ذلك لا يكون في اللغة وحدها فحسب، بل يتجاوزها إلى أشياء أخرى كالمناصب والوظائف والأعمال. ولهذا نجد أن أحد الباحثين ينتقد هذه الترجمة، فيقول: "أفضل ترجمة مصطلح (pragmaticus) بعلم التخاطب، وليس بالتداولية، أو النفعية، أو الذرائعية كما يفعل عدد من اللسانيين العرب توهما منهم بأن (pragmaticus) و (pragmatism) شيء واحد، والواقع أن المصطلح الأول يطلق على الدراسات التي تعنى بالمعنى في السياقات الفعلية للكلام، وهم ما يتفق مع معناها الحرفي، وهو علم الاستعمال. وإذا نظرنا إلى تراثنا البلاغي والأصولي فسنلاحظ أن الاستعمال – الذي يقابل الوضع عادة – يطلق على النشاط الذي يقوم به المتكلم في عملية التخاطب. ولذا فإن ترجمة (pragmatics) بعلم التخاطب أنسب في رأبي من الخيارات التي اطلعت إليها حتى الآن، أما (pragmatism) فهي مدرسة فلسفية

¹ طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط2، 2000 ص27

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ظهرت في أمريكا تذهب إلى أن الفكرة النظرية لا تجدي نفعاً ما لم تكن لها تطبيقات عملية. وعلى الرغم من صلة منهجية بين المجالين والمصطلحين تكمن في التقليل من شأن المجرد والعناية بما هو عملي وسياقي ومحرف فعلاً، فإن اهتمام الحقل المسمى (pragmatism) يقتصر على اللغة خاصة، في حين يعنى الحقل الآخر بالفلسفة، وإن امتدت آثاره في السياسة وعلم الاجتماع وغيرها¹

ونجد أن ما يطرحه هذا الباحث هو أقرب تقبلاً في الأوساط الطلابية والباحثين، وهو ما يثبتته الواقع الميداني، ونحن نرى في هذا المضممار أن استعمال علم الخطاب أو التخاطبية أقرب بكثير إلى فهم المتلقين لجوهر هذا العلم وما يتبناه، وهو ما يمكنهم من تقبله أولاً، ثم التأصيل له في تراثنا العربي ثانياً، والمساهمة فيه بإثرائه أو اتخاذ موقف منه في الأخير، خصوصاً وأن الساحة المعرفية في مجال النقد واللغة قد عرفت انفجاراً ضخماً هز أركان العديد من المصطلحات وأبدلها أثواباً تنزع بها إلى الحدائثة وما بعدها أكثر من نزعتها إلى تراثها.

كما أن أحسن ترجمة لها في جانبها الفلسفي هي النفعية أكثر من الذرائعية وهو ما هو متداول حتى في الحياة اليومية؛ حيث نقول: برامجاتي، أو نفعي. أما إذا قلنا:

¹ محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان ط1،

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ذرائعي، فإن هذا المصطلح لن يفهمه إلا الخاصة من ذوي الاختصاص أو المهتمين بشؤون الفكر والفلسفة

2- اصطلاحا:

يعود استعمال التداولية إلى الفيلسوف الأمريكي شارلز موريس Charles Morris عام 1938؛ حيث وزع الرسوم اللغوية حسب المخطط التالي: الجانب النحوي syntax ويعنى بعلاقة الرموز اللغوية ببعضها البعض. الجانب الدلالي semantics ويعنى بالرموز اللغوية وعلاقتها بالأشياء التي تدل عليها. والجانب البراغماتي pragmatics ويعنى بعلاقة الرموز اللغوية بالمتلقي، وبالظواهر النفسية والحياتية والاجتماعية المرافقة لاستعمال هذه الرموز وتوظيفها¹

وبصنيعه هذا، يكون شارلز موريس قد جعل التداولية جزءا من علم العلامات؛ فهي في نظره "تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملها"².

لقد أخرج شارلز موريس البحث اللساني من بوتقة البنية الجامدة عند البنيويين، والمتكلم المثالي عند التحويليين؛ كونهما قد عجزا عن تفسير اللغة، خصوصا ما تعلق منها بالأداء الفردي، وما يتعلق به في توجيه كلامه وتحديد مقصوده، فجعل

¹ شاهر الحسن، علم الدلالة السمانتيكية والبراغماتية في اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر،

عمان ط1، 2001 ص157

² فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، 1986 ص8

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

الاستعمال المعيار الوحيد القادر على فهم اللغة، وهذا الاستعمال خاضع في ذاته للعديد من الضوابط التخاطبية والنفسية والاجتماعية، أو ما يعرف بصورة مختصرة بالسياق.

إن أغلب التعريفات التي اطلعنا عليها في هذا المضمار لا تخرج عن الإطار العام الذي تبناه موريس، ولكنها تنزع على الأقل إلى الشرح أو التحليل أو التفصيل، وهو ما يسهل من عملية استيعاب هذا العلم ونشره، ويمكننا أن نذكر في هذا المقام ما يلي: يعرف بيل التداولية بقوله: "دراسة الارتباط الضروري لعملية التواصل في اللغة الطبيعية بالمتكلم والسامع بالمقام اللغوي وبالمقام غير اللغوي، وارتباطها بوجود معرفة أساسية وبسرعة استحضار تلك المعرفة"¹

وهذا التعريف في حقيقته لا يعدو أن يكون تفصيلا لما طرحه شارلز موريس قبله. وعرفها آخر بقوله "الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية"²

¹ أمبيرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص 455

² فان ديك، النص والسياق، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 2000، ص 273

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

والجديد في هذا التعريف هو وصف التعابير بالرمزية، وهذا الأمر يجعله يدمج حتى قضايا المجاز أو ما يعرف بالانحراف في الدرس الأسلوبي وبضرورة ربط تلك الرموز بسياقاتها المرجعية لإنجاح العملية التواصلية.

ويرى آخر أن التداولية تختص "بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم أو الكاتب ويفسره المستمع أو القارئ؛ لأنها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم، أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة. التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم. التداولية هي دراسة المعنى السياقي... التداولية هي دراسة كيفية إيصال أكثر مما يقال"¹

وهناك تعريف يدخل في تفصيله حد رحم العملية التواصلية فيقول: "التداولية محاولة للإجابة عن أسئلة كالتالي: ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ لماذا نطلب من جارنا حول المائدة أن يمدنا بكذا، بينما يظهر واضحاً أن في إمكانه ذلك؟ فمن يتكلم إذن؟ وإلى من يتكلم؟ من يتكلم ومع من؟ من يتكلم ولأجل من؟ كيف يمكننا قول شيء آخر غير ما كنا نريد قوله؟"²

ولقد استفاد الدارسون العرب مما قدمه الغربيون فتحثوا لأنفسهم تعريفات خاصة، فنجد مثلاً مسعود صحراوي يعرفها بقوله: "علم جديد للتواصل، يدرس الظواهر اللغوية

¹ جورج بول، التداولية، تر: قص العنابي، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط1 (1431، 2010) ص 19

² فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 07

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

في مجال الاستعمال، ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره¹

لقد اقتبس مسعود صحراوي هذا التعريف مما ذكره فرانسيس جاك F.Jacque حين يقول: "التداولية تتطرق إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معا"² وإذا قمنا بتفكيك هذا التعريف نجد ما يلي:

أن اللغة كظاهرة خطابية تعني دراسة منشئ الخطاب، انطلاقاً من معتقداته، ومقاصده، وشخصيته، وتكوينه الثقافي، ومن يشاركه في العملية التخاطبية. وكونها تواصلية يقتضي الإلمام بالوقائع الخارجية، ومن بينها الظروف الزمانية والمكانية وكونها اجتماعية يقتضي دراسة الظواهر المرتبطة باللغة وتفسيرها وفق الضوابط والأعراف المجتمعية

انطلاقاً مما سبق، نجد أن دراسة اللغة تداولياً يعني الاستعانة بترسنة من العلوم، يمكننا أن نوجزها فيما يلي:

اللسانيات: إن أول ما قام به دي سوسير هو تفريقه بين ثلاثة أشياء تعد من صميم الظاهرة اللغوية وهي: اللسان، اللغة، الكلام. ثم قام باستبعاد الكلام من الدراسة؛ ذلك

¹ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ط1، 2005

ص29

² فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية ص 12

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

أنه يخضع لبواعث فردية أكثر منه إلى نظام اللغة العام، ولهذا يقول: "اللغة تختلف عن الكلام في أنها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة"¹ فاللغة تخضع لنظام جمعي، يمكن اكتشاف وحداته واستنباط قوانينه والعلاقات التي توحد بين أبنيته؛ إذ هي "مجموع كلي متكامل كامن ليس في عقل واحد، بل في عقول جميع الأفراد الناطقين بلسان معين"²

وإذا كانت اللغة اجتماعية؛ فإن الكلام فردي، وهو يقابل عند تشومسكي الأداء الذي هو: "الاستعمال الفعلي للغة في المواقف الحقيقية"³

إن هذا الاستعمال هو عماد الدراسة التداولية التي تعالج علاقة العلامات بمستعملها، والفرق بين نظرة تشومسكي والنظرة التداولية أن الأول يتكلم عن متكلم مثالي غير عابئ بمقتضيات السياق، وما ينويه ذلك المتكلم، وهو ما تأخذه التداولية في الحسبان.

ومن هنا نستنتج أمرين:

¹فاردينا دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، العراق 1988 ص 33

²أحمد مومن، اللسانيات: الشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ط4، 2008 ص 123

³ نفسه ص 210

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

الأول: أن الفصل بين اللغة والكلام أمر افتراضي؛ "فاللغة لا تتحقق إلا في مستوى الكلام، وتبقى حاملة لأهم خصائص من يؤديها، مهما اجتهدوا في تجاوز ذلك، فالكلام إذا مظهر من مظاهر تحقق اللغة واقعا، ودراسته هي دراسة الواقع الفعلي للغة"¹

ثانيا: إن فهم اللغة تداوليا لا يمكنه أن يتحقق فعلا ما لم يتم الإلمام بقضايا التركيب والدلالة؛ فهما أصل أي دراسة لغوية في طبعتها الأولى، ثم يأتي السياق، ومقاصد المتكلمين في صورة أكثر تقدما، فالذي لا يفهم التركيب والدلالة لا يمكنه تجاوزهما إلى البعد التداولي في الظاهرة اللغوية.

علاقته بعلم النحو والنحو الوظيفي:

يدرس النحو بنية الجملة انطلاقا من محاولته الكشف عن علاقة العلامات بعضها ببعض، وكيفية ترابطها بصورة تجعل منها كلاما مفهوما، أما النحو الوظيفي كما أسسه سيمون ديك، فإنه يتجاوز وصف علاقة وحدات الجملة ببعضها إلى الأغراض التي يؤديها كل بناء في ذلك التركيب، أو ما يعرف بالوظائف في معناها العام. ومن هنا؛

¹ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية ص123

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

فلا غرو أن نجد أحد الباحثين يقرن الوظيفة بالتداول، وهو ما نجده عند أحمد المتوكل حين وسم مؤلفه بالوظائف التداولية¹
إن الأغراض النحوية أو الوظائف التداولية تأخذ بعين الاعتبار ما يقصده المتكلم من خلال وضع ملفوظه في سياقه العام، ولهذا نجد سيمون ديك: يقترح أن يدرج النحو الوظيفي ضمن نظرية تداولية وسعي، أو نظرية لغوية شاملة، تجمع نظريات التواصل اللغوي المختلفة²

علاقته بعلم الدلالة:

يعرف علم الدلالة بأنه: "دراسة المعنى، أو هو ذاك الفرع من علم اللغة الذي يهتم بدراسة المعنى، أو هو فرع من علم اللغة يدرس العلاقة بين الرمز اللغوي ومعناه"³
وإذا كان هذا هو الأمر، فقد جعل البعض يقر بصعوبة التفريق بينهما "فالتمييز بين السيمانتكية والبراغماتية ينطوي على ظلال رمادية في التطبيق العملي حيال تحليل المعنى الذي تؤديه اللغات"⁴

¹ ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، المغرب ط1، 1985 ص26
² ينظر: أحمد المتوكل، الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2003 ص56
³ خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009 ص24
⁴ شاهر الحسن، علم الدلالة بين السيمانتكية والبراغماتية في اللغة العربية، دار الفكر الأردن، ط1، 2001 ص159، 160

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

وهناك من يميز بينهما "انطلاقاً من فكرة الكفاءة والأداء ؛ حيث يصنف علماء اللغة باتفاق علم الدلالة ضمن القدرة-معرفة اللغة-، أما التداولية فتصنف ضمن الشق الثاني المتضمن للأداء -الإنجاز- واستخدام اللغة"¹

غير أننا ما نلاحظه في هذا التمييز هو اعتماده على وجهة نظر تشومسكي ؛ حين اعتمد على الأداء انطلاقاً من متكلم مثالي، دون أن يأخذ بعين الاعتبار السياق والمقاصد.

والحقيقة-في نظرنا-أن الفرق بينهما بسيط حين نتكلم عن التورية مثلاً في البلاغة العربية، فإذا قلنا مثلاً: فلان كثير الرماد، فالدراسة الدلالية تتوقف عند حدود النار والرماد، أما الناحية التداولية فتتجاوز ذلك إلى المقاصد والنوايا فيعلم أنه كثير الضيافة مثلاً.

كما أننا نشير إلى أن كلا من علمي الدلالة والتداولية قد اعتدا بالمقام، والفرق الوحيد بينهما في اعتداد التداولية بمقاصد المتكلمين، وهو الشيء الذي أهمله علم الدلالة.

علاقتها باللسانيات النفسية:

إن ارتباط الدرس التداولي بمقاصد المتكلمين قد جعله يغوص في جوانب عميقة للمتكلمين مثل: نسبة البدهاة، وسرعة الانتباه، وحدة التفكير، والذكاء، وهذه

¹ ينظر: جون ليونز، اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة،

بغداد، العراق ط1، 1987 ص32، 31

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

الأشكال كلها يعتمد في دراستها على اللسانيات النفسية، ومثال ذلك: إذا قال شخص في الحافلة لشخص آخر: هناك شيخ كبير. فيقوم ذلك الشخص ويترك له مكانه.

علاقتها باللسانيات الاجتماعية:

انطلاقاً من اعتداد التداولية بالسياق، وجعله الأساس في تحديد الكلام؛ فإن هذا الأخير-أي السياق-سيستلزم بصورة حتمية الوقائع الاجتماعية، أو الوضع العام لعملية التلفظ؛ حيث يضعها ضمن إطار يخضع المتكلمين إلى وضعهم الاجتماعي، وهنا يمكننا أن نطرح ملفوظاً واحداً لكن دلالاته يحددها الوضع الاجتماعي للمتكلم، فما يقوله حكيم ليس كما يقوله إنسان عادي

كما تشترك اللسانيات الاجتماعية في ظروف نشأتها والبدائل التي عرضتها في التداولية "حيث نشأت كرد فعل على اللسانيات البنوية التي أبعدت المكون الاجتماعي في اللغة، واقترحت في ذلك أن تدرس اللغة استناداً إلى مباحث أفعال الكلام"¹

علاقتها باللسانيات النصية وتحليل الخطاب:

بعدها اكتشف قصور اللسانيات البنوية وتوقفها عند حدود الجملة، ظهر تيار ينادي بضرورة تجاوز تلك الحدود إلى ما بعد الجملة، فظهر ما يعرف بلسانيات النص،

¹ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية ص132

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

وكان لها آليات للتحليل تتجاوز المفاهيم القديمة، وخصوصا في اعتدادها بالسياق، لكن في إطاره اللساني فقط، مبعده في ذلك مقاصد المتكلمين ونواياهم، وهي في هذا تشترك ولو بالجزء البسيط مع التداولية الحديثة.

أما تحليل الخطاب فيعود أصلا ليكون المفهوم المقابل للنص، اعتمادا في ذلك على اللسانيات التي طرحها دي سوسير، والتي استلهمها من فلسفة الثنائيات: الروح والجسد، لكن الدارسين بعد دي سوسير أعادوا بناء تلك الثنائيات ومنها: اللغة والخطاب (langue, discours) حسب ق. قيوم (guistave guilloume) والجهاز والنص (système –texte) حسب هيالمسالف (louis hjelmslev) وطاقة القوة وطاقة الفعل (competence, performance) حسب تشومسكي، والنمط والرسالة (code, message) حسب جاكسون¹

إن ما أهمله دي سوسير هو ما حاول الدارسون استنطاقه فيما بعد؛ فالخطاب يساوي النص مضافا إليه ظروف الإنتاج والسياقات المقامية.

علاقتها باللسانيات التعليمية:

لقد حاولت التعليمية إرساء قواعد تداولية في تعلم اللغات وتعليمها، فأكدت أن: "التعليم لا يقوم على تعليم البنى اللغوية دون الممارسة الميدانية التي تسمح للمتعلم

¹المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، ط3، ص39

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

بالتعرف على قيم الأقوال وكميات الكلام، ودلالات العبارات في مجال استخدامها، إلى جانب أغراض المتكلم ومقاصده التي لا تتضح إلا في سياقات مشروطة"¹

¹ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية ص133

الفصل الثاني: أصول التداولية

لم تكن المباحث التداولية وليدة الصدق العلمية أو المهارات الكلامية، وإنما كانت نتيجة لتراكم العديد من المعارف شكلت لها في البداية حاضنة علمية استمدت منها كل ما تحتاجه من مبادئ وما ترجوه من أفكار، ولا غرو في ذلك، فمصدر العلوم وتطورها، بل وسر بقائها وإثبات وجودها يكمن في مدى استفادتها من الكم المعرفي المتراكم الذي يسمح لها في البداية الاستفادة منه، في حين يقر لها انفصالها واستقلاليتها في مرحلة لاحقة، لتشكل بذلك علما فريدا أو فرعا تحت راية علم أوسع. ولهذا فإنه يمكننا أن نجمل أهم الروافد العلمية والتي كانت بمثابة الخلفيات المعرفية في تشييد صرح بناء التداولية في النقاط الآتية:

1- الفلسفة التحليلية *analytic philosophy*

الفلسفة التحليلية تيار فلسفي نشأ في بداية القرن 20 مع أعمال برتراند راسل، جورج إدوارد مور، وفيتغنشتاين، ومن تأثر بهم من الكتاب، خاصة في الدول الناطقة بالانجليزية.

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ويعتبر المنطق وفلسفة اللغة أساسين في الفلسفة التحليلية، وانطلاقاً من التوجه المنطقي اللغوي للفلسفة التحليلية نشأت توجهات فكرية جديدة منها: فلسفة اللغة العادية، الفلسفة السياسية، فلسفة الذهن.

ويمكن ذكر بعض أقطابها كما يلي:

- برتراند راسل صاحب التحليل المنطقي ومذهب الذرية المنطقية.

- فيتغنشتاين الأول صاحب المنطق الصوري وفلسفة مثالية اللغة.

- مدرسة أكسفورد وفلسفة اللغة العادية.

أما خصائصها كما قدمها سكوليموفسكي فهي كما يلي:

- اهتمامها بدور اللغة في الفلسفة.

- تجزئة المشكلات ومعالجتها كلا على حده.

- خاصيتها المعرفية.

- المعالجة المشتركة البين ذاتية لعملية التحليل.

وما يهمنا من هذه الخصائص هو النقطة الأولى؛ حيث يعطي التحليليون أهمية رئيسية

للغة ولا يعتبرونها كوسيلة، بل هدفاً من أهداف البحث الفلسفي.

ويمكننا تحليل دور اللغة في الفلسفة التحليلية من خلال ما يلي:¹

¹ ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1993، ص23 وما بعدها

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

أ-جورج إدوارد مور: يعتبر من رواد الفلسفة التحليلية؛ حيث كتب مقالته المعنونة "رفض الميثالية *réfutation, idéalisme* عام 1903، وانطلاقاً من العنوان تظهر

الخصائص العامة لفلسفته وهي:

-الواقعية الجديدة كبديل للمثالية.

-الفهم المشترك كأساس للفلسفة التحليلية.

-اللغة العادية بدلا من لغة الفلسفة والعلم.

ب-بوتراند راسل:¹ يهدف بوتراند راسل بمنهجه إلى الرجوع إلى العناصر الأولية

البسيطة والعلاقات التي تربط بينها بهدف الوصول إلى قوام الوجود وأصول المعرفة،

ويشمل التحليل عنده المجالات التالية:

-تحليل الرياضيات وردّها إلى المنطق.

-تحليل العالم المادي.

-تحليل الفكر والعقل.

-تحليل اللغة والكلام: انطلاقاً من أن حقائق الرياضيات والمادة والفكر تردّد بالتحليل

إلى وقائع جزئية، وطالما أن أحداث العقل وعلاقته الجزئية تنصب على حقائق

خارجية جزئية، فلا بد أن تكون اللغة التي تعبر عن الإدراك أيضا جزئية ومباشرة"

¹ ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ص 31

2- فلسفة الوضعية المنطقية

يجمع الدارسون على أن أي فلسفة إنما تبنى انطلاقاً من علوم العصر التي نشأت فيها سواء أكانت طبيعية، رياضية أو منطقية. وفي هذا الصدد يقول جون بياجي " يظهر أنه مما لا جدال فيه أن أكبر المذاهب في تاريخ الفلسفة تنحدر من تأمل، إنما في الاكتشافات العلمية لأصحابها أنفسهم، أو في ثورة علمية خاصة حدثت في زمانهم أو قبله بقليل، هكذا الأمر كان مع أفلاطون مع الرياضيات، وديكارت مع الجبر والهندسة التحليلية، وليبنز مع حساب اللامتناهيات، وكانت مع العلم النيوتوني، وصولاً إلى المنطق الرمزي مع فيرجيه وراسل"¹

ولهذا فإننا نجد أن تشكل المذاهب الفلسفية يكون وفق المعارف السائدة، فلكل علم فلسفته، تنهض وتضمحل معه. فالأنساق الفلسفية لم تكن وليدة الصدفة، أو الترف الفكري، بل هناك إشكاليات استدعتها، ونظريات استجلبتها، فإلى أي مدى كانت حلقة فيينا انعكاساً لروح العصر ومعطياته؟

2- حلقة فيينا

لقد استجابت حلقة فيينا بصورة واضحة للروح العلمية التي ميزت القرن العشرين - عصر العلم والثورة التكنولوجية- حيث انتفضت ضد الفلسفة الكلاسيكية، والمثالية

¹ ساهل بوعزة، جدلية العلم والعقل، منشورات دار التوحيدي، 2007 ص 87

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

الألمانية اللتين غرقتا في البحث في القضايا الميتافيزيقية كالوجود والنفس والروح، وأكثر من ذلك، فقد عابوا عليها الوضع المتردي التي آلت إليه الفلسفة بسبب انسياقها وراء سراب الحقيقة، ووهم العقل. وهو الأمر الذي فضحه التقدم العلمي والمؤثرات التي كانت تكشف عن تقدم وحيوية في الخطاب العلمي يقابله جمود في الخطاب الفلسفي العائم في الميتافيزيقا الغارقة في أوهام الحقيقة.

وانطلاقاً من هذا، فقد نادى أصحاب هذا التيار بضرورة الابتعاد عن الأسئلة التي تحاول استكناه العلم، فهذه مهمة العلم، أما الفلسفة فمهمتها توضيح لغة العلم وتحليلها اعتماداً على المنهج التحليلي والمنطق الرياضي .

لقد أجمع فلاسفة الوضعية المنطقية على ضرورة تقديم فهم علمي للعالم، وإن نظرتهم هذه قديمة، فهي تمتد لتصل إلى أسلاف تقليديين كأوجست كونت عالم الاجتماع، والتجريبيين الكلاسيكيين خاصة دافيد هيوم وجون ستوارت مل.

لقد استفادت حلقة فيينا من نتائج التطورات التي عاشها المنطق الرمزي بفضل أعمال المنطقي الألماني جوتلوب فرجه وذلك في أمرين:

الأول: استخدامه المنطق الرمزي لصياغة لغة فلسفية علمية خالية من الثغرات المنطقية.

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

الثاني: إثارته للعديد من المشاكل التي سيكون لها الأثر الكبير في الأوساط العلمية، وخاصة قضية قصور اللغة العادية أن تكون لغة علمية ومنطقية، لما تمارسه من تستر على البنى المنطقية الأساسية لفكر¹ وهو ما كان له الأثر الكبير على فيتغانشتاين.

3- فيتغانشتاين والتحليل المنطقي في الرسالة²:

يبدأ فيتغانشتاين رسالته لا بتحليل اللغة بل بتحليل العالم، لأنه أسبق منها، وهي أدواته في رسمه وتصويره.

كما أن تحليل اللغة عنده غاية في حد ذاته؛ ذلك أن أي مشكلات الفلسفة تنبع من سوء فهمنا لمنطق اللغة، ولهذا فإن الفهم الصحيح لمنطق اللغة يفتح الطريق لحل عديد الإشكاليات الفلسفية.

وفي تحليله للغة يمر عبر النقاط التالية:

1- تحليل اللغة إلى قضايا، ثم يبحث في أسس تلك القضايا ومعايير صدقها وعلاقتها بالفكر والواقع والمنطق.

2- اللغة هي الفكر، وتلازمهما يعني عدم وجود أحدهما دون الآخر؛ إذ هي التجسيد الحقيقي للأفكار.

¹ وداد الحاج حسن، نهاية الوضعية المنطقية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2001 ص 22

² ينظر: نفسه ص 34

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

3- يرى أن وظيفة اللغة تقريرية وصفية للواقع الخارجي، وبقدر رسمها للواقع تكون صادقة.

4- ماله مقابل في العالم الخارجي هي الأسماء فقط، أما الروابط المنطقية في القضية فلا يوجد ما يقابلها في الوجود الخارجي؛ إذ هي روابط عقلية بحتة.

5- الاسم علامة بسيطة تدل على شيء بسيط، ولهذا لا يمكن تحليله أو تعريفه

6- يرتبط المعنى عنده بالقضية لا بالكلمة بمفردها، فالعبارات التي لا تعبر عن العالم الخارجي لا معنى لها.

7- يفرق بين القضية وعلامة القضية؛ فالأخيرة تعني الحامل الحسي للقضية وهي الألفاظ، والكلمات المنطوقة أو المكتوبة. أما القضية فهي المعنى القائم في الذهن، الذي نرسم به العالم الخارجي.

8- يرى أن للقضية معنى وليس لها دلالة، على خلاف الاسم. ومعناها يتحدد ببينيتها ومدى تعبيرها عن بنية الواقعة التي هي ترابط الأشياء على نحو معين، والذي يحدد صدقها أو كذبها هو ترابط الأسماء ووضعها.

9- إن القضايا الميتافيزيقية بلا معنى؛ إذ لا يمكن التعبير عنها، ولهذا فإن حل المشكلات الميتافيزيقية التي أثارَت مشاكل فلسفية عديدة يكمن في إلغائها من ميدان الفلسفة.

4- أوستن:

ينطلق أوستن في منهجه من اللغة العادية، وذلك بالبحث في طرق استعمالها من خلال المنطلقات التالية¹

- أن الكلمات words هي أدواتنا في التحليل، ولهذا ينبغي استعمال أدوات نظيفة clean tools فنعرف ما نعيه وما لا نعيه، آخذين في الحسبان المتاهات التي يمكن أن تضعنا فيها اللغة.

2- أن الكلمات ليست وقائع facts أو أشياء things : ولذلك فنحن في حاجة إلى أن نرفعها فوق العالم، ونجعلها بعيدة عنه حتى ننظر إليها من دون غمامات .

3- إن مخزوننا العام من الكلمات يجسد جميع الاختلافات التي وجد الناس أنها تستحق أن توضع، ويجسد الروابط التي وجدوا أنها تستحق التسجيل في حياة أجيال كثيرة، وهذه بالتأكيد أكثر تعددا وصحة وتهذبا من جميع الموضوعات التي قد نفكر فيها، أو أفكر فيها، ونحن على مقاعدنا وقت الأصيل .

4- إن اللغة العادية ليست الكلمة الأخيرة: فمن حيث المبدأ يمكن تكملتها وتحسينها ولنتذكر فحسب أنها الكلمة الأولى.

5- العلامة عند شارلز سندرلر بيرس

¹ warnok ,g : j . L . austin , routledge , london and new york
1991 , pp - 4 - 5

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

لم ينطلق بيرس في تصوره للعلامة من فراغ، فأغلب ما طرحه يجد له مثيلاً عند سابقه فرديناند ديسوسير الذي بشر بعلم العلامات في محاضراته في علم اللغة، معتبراً إياه أعم من اللسانيات؛ حيث سيهتم هذا العلم بـ "دراسة حياة العلامات في المجتمع (...)"، ويكون جزءاً من علم النفس الاجتماعي، وهو، بدوره، جزءٌ من علم النفس العام"¹

كما كان لدي سوسير الأثر البالغ في إرساء علم العلامات؛ حيث أسس للعديد من المصطلحات كالدال والمدلول، اللغة الكلام، الزمانية والآنية، وغيرها من المصطلحات التي عمل الدارسون بعده على تطويرها، بل وحتى نقضها، فrolan بارت اعتبر علم العلامات جزءاً من علم اللغة على خلاف دي سوسير الذي رأى العكس.

إن رولان بارت في بحثه عن العلامة، وفي محاولته إرساء علم خاص بها سماها السيميوطيقا semiotic قد ربطه بالمنطق فـ" المنطق، بمعناه العام، ليس سوى تسميةٍ أخرى للسيميوطيقا"² معتبراً أن كل شيء في الوجود عبارة عن علامات ورموز مترابطة مع بعضها.

لقد أكد بيرس في بداية مشواره على أن علم العلامات الذي حاول إرساءه يتجاوز حدود الإنسان، بل ويمكنه التعمق في كل الظواهر الكونية في صورتها المادية

¹ عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر مدخلاً إلى المناهج النقدية الحديثة، ص47

² يُنظر : جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، عالم الفكر، ع3، مج 52، يناير 1997م، ص48

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

والميتافيزيقية، ولهذا يقول: "لم يكن في وسعي أن أدرس أي شيء، سواء تعلق الأمر بالرياضيات أو الأخلاق أو الميتافيزيقا أو الجاذبية أو الديناميكية الحرارية أو علم البصريات أو الكيمياء أو علم التشريح المقارن أو علم الفلك أو علم النفس أو علم الأصوات أو الاقتصاد أو تاريخ العلوم، وكذا الويست - ضرب من لعب الورق - والرجال والنساء والميتولوجيا، إلا من زاوية نظرٍ سيميائية"¹

إنه بتحديد هذا يجعل علم العلامات يمتد ليشمل التجربة الإنسانية، فهو رؤية للعالم والكون والوجود، فكل شيء في الوجود علامة تحيل إلى أخرى.

إن تصور بيرس للعلامة ينطلق من "رؤية فينومولوجية للإدراك، ترى في كل الأفعال الصادرة عن الإنسان سيرورة بالغة التركيب والتداخل، فكل ما يفعله الإنسان، وكل ما يجربه وكل ما يحيط به يمكن النظر إليه باعتباره تداخلا لمستويات ثلاثة"²

إن ظاهرية بيرس خاصة، فهي ذات مفاهيم ومصطلحات مخصوصة فهي "تدرس العناصر البارزة (phanérons) على مستوى الفكر لكي تميز طبقاتها وتصنفها ضمن مقولات عامة"³

¹ سعيد بنكراد السيميائيات النشأة والموضوع، عالم المعرفة، ع3، مج 53 يناير 2007م، ص3.

² سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 88

³ Charles S. Peirce: *Ecrits sur le signe*. Ed. Seuil, Paris, 1978 p67

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ويعني بيرس بالعنصر البارز: "كل شيء حاضر في الذهن، بأية طريقة وبأي معنى كان الشيء، ودون اعتبار لكون هذا الشيء يتطابق مع شيء معين في الواقع أم لا"¹ وفي إطار هذه الظاهرانية، ميز بيرس بين ثلاث مقولات أساسية تعبر عن ثلاثة أنماط من كينونة العنصر البارز وهي:

الأولانية: (firstness) وهي: كينونة الإمكان الكيفي الموجب (qualitative positive l'Être de la possibilité)، أي كينونة شيء أولي وسابق لأي تركيب أو توليف. وهو شيء غير موجود، لكنه يحمل في ذاته قدرات وإمكانيات تجعله يوجد أو لا يوجد، يتحين أولاً يتحين"²، " إنه الشيء الذي يملك كينونته في ذاته، بحيث لا يوجد في الوعي ولا يخضع لأي قانون"³ إن الأولانية إذن هي عالم الممكنات (les possibles) والكيفيات (qualités) المجردة⁴.

ولتيسير فهم الأولانية نعطي مثالا بالخسوف eclipse قبل أن يقع أول مرة، وقبل أن يعرفه أحد أو يراه أو يتوقعه، فقد كان عبارة عن إمكان كيفي لا نعرف عنه شيئاً إلا بعد أن يحدث

¹ Ibid p68

² Ibid p70

³ Ibid p51

⁴ Ibid p23

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

الثانانية (secondness) وهي مقولة الوجود: أي وجود الأولانية وتَحَقُّقها في الزمان وفي المكان؛ ولذلك فهي عالم الموضوعات والوقائع والموجودات (وقوع الخسوف مثلاً)¹

الثالثانية: (Thirdness) فهي مقولة الوعي الذي يتدخل ليربط بين الشيء كإمكان كفي مجرد، وبين تحققه الفعلي في عالم الموجودات والموضوعات². إنها الفكر أو القانون الذي يربط بين الأولانية والثانانية وفق منطق ضروري متجه نحو الوقائع المستقبلية³. (رؤية الخسوف ينتج عنها إدراك العلاقة بين كُمونه وتجليه، مما يُمكن من التنبؤ به).

إن المرحلة الثالثة تقف وسيطا بين المرحلتين الأولى والثانية⁴ ويصوغ بيرس هذه السيرورة على الشكل التالي: أول يحيل إلى ثان عبر ثالث⁴

لقد انعكس تصور بيرس للوجود على تصوره للعلامة التي تتشكل من خلال سيرورة ثلاثية تتمثل في الممثلة التي تحيل على موضوع عبر مؤول⁴ وهذه الحركة -سلسلة

¹ Ibid p28

² Ibid p100

³ Ibid p52

⁴ سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص89

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

الإحالات -هي ما يشكل في نظر بيرس ما يطلق عليه السيموزس، أي النشاط الترميزي الذي يقود إلى إنتاج الدلالة وتداولها"¹

ولها فالعلامة عنده: "كل شيء يحدد شيئاً ثانياً للإحالة إلى شيء ثالث يحيل عليه الشيء الأول ذاته وبالطريقة نفسها"² فالشيء الأول هو الممثلة، والشيء الثاني هو الموضوع والشيء الثالث هو المؤولة.

ولهذا فالعلامة عبارة عن: "ممثلة مرتبة بموضوعتها من جهة، وبمؤولتها من جهة أخرى، وذلك بطريقة تجعل علاقة هذه الموضوعة بتلك المؤولة متشابهة لعلاقة الممثلة مع الموضوع"³

ويمكننا أن نفصل هذا التعريف وفق المنظور البيرسي كالآتي:

1- الممثلة **Representamen**: يُعَرَّفها «بيرس» بقوله: «شيء ما ينوب لشخص ما عن شيء ما من وجهة ما وبصفة ما، فهي تُوجَّه لشخص ما، بمعنى أنها "أي: المصوِّرة (الماثول)" تخلق في عقل ذلك الشخص علامةً مُعادلةً أو زُيِّمًا علامةً أكثر تطوُّراً"⁴

¹ charles senders Peirce: Ecrits sur le signe p112

² Ibid p

³ Ibid p126

⁴ عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، ص79

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

فالممثلة إذا هي حامل العلامة وهي الركيزة، لأننا نعتبرها دالة على موضوعة تصل إليها بموجب اعتمادها كممثلة"¹

وهي بهذا المفهوم قريبة من مفهوم الدال عند ديسوسير، فالأصوات "ش، ج، ر، ة" هي ممثلة تشير إلى الشجرة الأصل.

2-الموضوعة: هي كل ما تحيل عليه الممثلة، سواء أكان قابلاً للإدراك أو التخيل أم غير قابل حتى للتخييل كالإحساسات المبهمة مثلاً²

وفي تصور بيرس فإن موضوع العلامة هو المعرفة التي تفرضها العلامة لكي تأتي بمعلومات إضافية تخص هذا الموضوع"³

وتنقسم الموضوعة إلى قسمين:⁴

أ-موضوعة مباشرة: وهي ما تحيل إليه العلامة في حد ذاتها.

ب- موضوعة غير مباشرة: وهي التي لا تشير إليها العلامة إلا بالتلميح، وتترك للمؤول مهمة تحديدها⁵، كما أنها حصيلة سيرورة سيميائية سابقة يسميها بيرس التجربة

¹ charles senders Peirce: Ecrits sur le signe p66

²charles senders Peirce: Ecrits sur le signe p112

³سعيد بنكراد، السيميائيات ، مفاهيمها وتطبيقاتها ص99

⁴ ينظر: ن م ، ن ص

⁵ charles senders Peirce: Ecrits sur le signe p53

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

الضمنية *collaterater experience*¹ كما أنها تتسم بالديناميكية؛ بمعنى أنها تتكرر وتتجدد تبعاً للتجارب وما تحمله الذات المدركة تجاه الموضوع.

المؤول: هو الرابط الذي ينظم علاقة الإحالة بين الممثلة والموضوع ولذلك "لا يمكن الحديث عن العلامة إلا من خلال وجود المؤول باعتباره العنصر الذي يجعل الانتقال من الماثول إلى الموضوع أمراً ممكناً، إنه هو الذي يحدد للعلامة صحتها، ويضعها للتداول كواقعة إبلاغية"² اعتماداً على المعرفة السابقة في الذهن.

ويقسم بيرس مستوياته الدلالية إلى ثلاثة مستويات³:

- **المستوى الدلالي الأول** "المباشر" ويدخل دائرة التعيين؛ حيث تدرك العلامة في ذاتها مباشرة، فلفظة شجرة تحيل مباشرة إلى الشجرة المعروفة: جذع ، أغصان، أوراق.....

- **المستوى الدلالي الثاني** "المؤول الدينامي" وفيه تخرج العلامة من دائرة التعيين لتدخل في متاهات القراءة، والتأويل ناجم عن التراكمات الثقافية والسيرورات المعرفية، وهي في هذا المستوى فوضوية ولا نهائية.

¹ سعيد بنكراد، السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها ص99

² نفسه ص101

³ ينظر: سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ص103

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

-المستوى الدلالي الثالث "المؤول النهائي" وهو الذي يقوم بالحد من فوضوية
لانهاية العلامة، وذلك بحصرها في دائرة دلالية معينة.

وبناء على التقسيمات السابقة، قام بيرس بتقسيم العلامة اعتبارا بعلاقتها مع أحد
العناصر الثلاثة السابقة كالآتي:

أ-علاقة العلامة بالممثلة: وينتج منها ما يلي:

-العلامة النوعية: تتمثل هذه العلامة في صفة حسية أو في محاكاة للأشياء وانعكاس
لصورها، أو في تعلم المهارات التي تعتمد على الحركة والإشارة، كالرياضة مثلا.

-العلامة المفردة: وهي الشيء الموجود، أو الواقعة الفعلية التي تشكل العلامة.
ومثالها الأنصاب التذكارية، وأعراض المرض.

-العلامة القانونية أو العرفية: وتشمل ما يتعارف عليه الناس، واصطلحوا على دلالتهم،
كإشارات المرور، والرموز العلمية.

ب-علاقة العلامة بالمؤول: وينتج منها ما يلي:

-التصور: وهو "كل علامة مفردة أو مركبة لا تصلح لأن تكون حكما، بل فقط حدا
في الحكم، وهي بالتالي لا تحتل لا الصدق ولا الكذب"¹ مثل: السماء صافية.

¹ ينظر : هيام عبدالكريم، دور السيميائية اللغوية في تأويل النصوص الشعرية - شعر البردوني
انموذجا- رسالة ماجستير مقدمة لكلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2001، ص32

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

-التصديق: وهي علامة قابلة للحكم عليها بالصدق أو الكذب. ومثالها "كل إنسان فان"

-الحجة: وهي تأليف من العلامات لا يتعلق سوى بالقواعد، فهي تتسم بالثبات والديمومة من حيث كونها قائمة على أسس منطقية، واستدلال يسلمها بالصدق.

ج- من حيث علاقتها بموضوعها

-الأيقونة: وفيها تحيل العلامة إلى موضوعها عبر علاقة المشابهة، محاكية موضوعا ماديا أو ميتافيزيقيا كما في الصور الفتوغرافية والمجسمات والتمثيل، وقد تكون مسموعة كما في الصوت المسجل لشخص ما، فهو أيقونة تحيل إلى الأصل

-المؤشر: وهي علامة تربطها بموضوعها علاقة المجاورة السببية، فرؤية الدخان مثلا تحيل لا محالة إلى وجود نار.

-الرمز: ويتميز بعرفية العلاقة بين العلامة وموضوعها من حيث الأصل، غير أن تعارف الناس وتواضعهم عليها جعل لها معنى، كاللون الأحمر في إشارات المرور، وارتباط الحمامة بالسلام.

6- العلامة عند شارل موريس:

لقد استقى شارل موريس أفكاره عموما من شارل سندرس بيرس، لكن الجديد عنده يكمن في أمرين:

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

الأول: لقد جعل للسيمياء بعدين: بعد سلوكي behaviourist ورثه عن لسانيات بلومفيلد السلوكية، وبعد معرفي يبحث عن موقع للسيمياء ضمن العلوم، كون العلاقة التي تربطها بكل العلوم ذات بعدين: الأول: كونها علم فهي " تدرس الأشياء وخصائص الأشياء في اشتغالها كعلامات، وهي من جهة ثانية تقدم المفاهيم والأدوات للعلوم الأخرى، بما أن كل علم يستخدم العلامات ويعبر عن نتائجه بواسطة العلامات"¹

ولهذا؛ فالسيمياء عنده هي أورغانون organon لعلم العلوم metasciences أي " بنية نظرية جامعة ومتسعة تشمل النتائج المحصلة انطلاقاً من منظورات مختلفة في كلٍ موحد ومنسجم"² ولهذا فإنه قد عمل جاهداً من خلال تحقيق هذا الهدف وذلك برسم " الخطوط الكبرى لعلم العلامات"³

كما يشترك بيرس مع شارل موريس في اعتبار أن الموضوع الأساس لعلم العلامات هو السيميوزس أي " السيرورة التي بموجبها يعمل شيء ما باعتباره علامة، وهذه السيرورة

¹ Charles Morris: " Fondements de la théorie des signes ", in Langages, n° 35, septembre 1974, p. 15

² Charles Morris: " Fondements de la théorie des signes, p. 15

³ Ibid. p. 15

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

مفادها أن "شيئا ما يحدد شيئا آخر عن طريق شيء ثالث"¹. ولهذا فالسيميويزيس هو العلامة لكن من منظور اشتغالها.

و العلامة عنده تتكون من العناصر التالية:

الأول: حامل العلامة، وهو كل ما يثير الانتباه إلى نفسه باعتباره علامة.

الثاني: المعيّن (designatum)، وهو ما يحدده حامل العلامة .

الثالث: المؤولة (interprétant)، وهو الأثر الذي تحدثه العلامة في الشخص المؤول. (l'interprète).

ولقد افترضت النظرة السلوكية على شارل موريس التفريق بين العديد من الأشياء بين المعيّن (designatum) وبين الشيء المعين، بفتح الياء، (designata) فهذا الأخير هو المرجع الأخير الذي يحيل عليه المعين، وأما المعين فهو تلك الإحالة ذاتها، فيما فرق بين المؤولة والمؤول.

ويمكن تفسير نظريته انطلاقا من تحليل عينة الكلب المشهورة في النظرية السلوكية: فالكلب يستجيب لصوت معين (حامل العلامة) بواسطة سلوك وهو إفراز اللعاب (المؤولة) وهذا السلوك يقتضي فكرة الطعام المعين التي تحيل طبعا إلى الطعام المعين والذي يوجد خارج العلامة كما ذكرنا²

¹ Ibid p. 15

² Charles Morris: " Fondements de la théorie des signes " p. 18

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

وانطلاقاً من هذا؛ يحدد شارل موريس ثلاثة أنماط من العلاقات، تعبر عن ثلاثة أبعاد للسيميويزيس وهي:¹

أ-علاقة العلامات فيما بينها، أي العلاقة بين حاملي العلامات، وهذا هو البعد

التركيبى في السيميويزيس، وينبغي أن يدرس وفق علم التراكيب *la syntaxique*

ب-العلاقة بين العلامات والمعينات: وهي تعبر عن البعد الدلالي، وتدرس انطلاقاً

من علم الدلالة *la semantique*

ج-العلاقة بين العلامات والمؤولات: وتمثل البعد التداولي للسيميويزيس، وينبغي أن

تدرس انطلاقاً من التداولية *la pragmatique*

7- أطروحة الفعل اللغوي عند أوستن:

أ-المرحلة الأولى: بنى أوستن فلسفته اللغوية على دعامتين:

الأولى: انتقاده لفلاسفة اللغة الوضعيين الذين ضيقوا مجال دراسة اللغة في حصرها

في مجال الوصف²؛ إذ الدراسة اللغوية تنحصر عندهم في الجمل الوصفية التي

تخضع لمعيار الصدق والكذب انطلاقاً من مخالفتها للواقع أو مطابقتها له، أما غيرها

¹ Ibid, p. 19

² ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ص 123

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

من الجمل غير الوصفية (الإنشائية) فقد استبعدت من الدراسة لأنها لا تطابق أو تخالف واقعا.

وبدلا من هذا فقد ميز أوستن بين صنفين من الجمل:

1- الجمل الوصفية **constative** التي تخضع لمعيار الصدق والكذب.

2- الجمل الإنجازية أو الأدائية **performative** هي التي لا تخضع لمعيار الصدق والكذب وتشكل فعلا لغويا، ومثاله: أعلن رسميا عن افتتاح الجلسة؛ فهذه الجملة لا تصف واقعا، ولا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، كما تحتوي على معنى معين يتحقق مباشرة بعد الانتهاء من تلفظها.

ولهذا فممكن الفرق بينهما في أمرين:

الأول: إن الجمل الوصفية تصف حدثا دون فعل، أما الجمل الإنجازية فتتجز قولا وفعلا في الوقت نفسه.

الثاني: إن الجمل الوصفية تخضع لمعيار الصدق والكذب، أما الجمل الإنجازية فتتخضع لمعيار النجاح والفشل، والمربوطين بمدى موافقة شروط إنجازها.

ففي المثال السابق: ينبغي حتى يتحقق فعل الافتتاح أن يكون المعلن عن افتتاح الجلسة رئيسا أو من ينوب عنه.

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ونظرا لأن فشل ونجاح الجمل الإنجازية مربوط بشروط إنجازها، فقد حاول أوستن أن يصوغ جملة من المعايير لذلك، والتي يمكن تصنيفها في قسمين:¹

أ- **المعايير المقامية:** وهي بدورها مقسمة على ثلاث فئات، حيث يؤدي إخلال الفئة الأولى أو الثانية إلى عدم نجاح الفعل، أما مخالفة الفئة الثالثة فيؤدي إلى إنجازه ولكن بطريقة سيئة²

ويمكن تفصيل ذلك كالتالي:

الفئة الأولى: وفيها شرطان:

1- أن يكون هناك اتفاق عرفي أو مؤسساتي أثناء عملية التبليغ.

2- أن يتم تطبيق هذا الاتفاق بواسطة أشخاص مناسبين.

وإذا رجعنا إلى مثالنا؛ فإننا نجد أن افتتاح الجلسة حتى يتحقق وجب له أمران:

الأول: هناك عرف مؤسساتي على أن بداية أي أشغال جلسة ينبغي أن يعلن عن افتتاحها.

الثاني: أن يكون الافتتاح من قبل المسئول الأول أو من يخوله للإنبابة عنه في ذلك.

¹ نعيمة الزهري: الأمر والنهي في العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، مطبعة المعارف الجيدة، الرباط 1997 ص 139

² ينظر أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة- كيف ننجز الأشياء بالكلام- تر: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق 1991، ص ص: 47-65

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

الفئة الثانية: وفيها شرطان:

1- أن يقوم كل طرف في العملية التبليغية بدوره بشكل صحيح.

2- أن يضل الموقف ثابتا إلى نهاية إنجاز الفعل.

وإذا أسقطنا هذين الشرطين على المثال السابق فإننا نجد:

أ- أن يقوم الحاضرون بالقيام بجلساتهم.

ب- أن يبقوا حتى نهاية الأشغال.

الفئة الثالثة: وفيها شرط واحد: وهو افتراض وجود نية مسبقة لدى منفذ الفعل اللغوي

ليؤدي فعله بصورة مرضية.

المعايير اللغوية: وهي تختص بأمور شكلية في ذات اللغة ومنها:

1- ضرورة انتماء فعل الجملة الإنجازية إلى فئة الأفعال الإنجازية مثل: وعد، سأل

أمر.

2- أن يكون فاعل فعل الإنجاز المتكلم ذاته.

3- أن يكون مبنيا للمعلوم.

4- أن يكون متصرفا في الحاضر.

وإذا اختلف أحد هذه الشروط تتحول الجملة الإنجازية إلى جملة وصفية

ففي المثال السابق: لو قلنا: أعلن عن افتتاح الجلسة بصيغة المجهول، لم يكن هناك

إنجاز.

المرحلة الثانية:

تبدأ هذه المرحلة بمجموعة من التساؤلات طرحها أوستن حول مدى كفاية مجمل المعايير التي اتخذها في التفريق بين الفعل الإنجازي والفعل الوصفي؛ بعبارة أخرى، تساءل عن مدى إمكانية إخضاع الجمل الوصفية لمعايير النجاح والإخفاق، ومدى إمكانية إخضاع الجمل الإنجازية لمعايير الصدق والكذب.

مثال ذلك: لو حذرت الدولة "أ" الدولة "ب" بأن الدولة "ج" على وشك أن تهجم عليها كما في المثال التالي: إنني أحذرك بأن الدولة "ج" على وشك أن تهجم. ثم يتبين أنه إشاعة، فهنا يكون التحذير خاضعا لمعيار الصدق والكذب.

وبعد تمحيص أوستن للعديد من الجمل، توصل إلى أن معايير النجاح والإخفاق مرتبطة بالصدق والكذب، والعكس صحيح، وهذا ما جر عليه تبني الطرح الذي لا يفصل بين ما هو وصفي وما هو إنجازي؛ فكل الجمل اللغوية قول وفعل في الوقت ذاته.

كما قام أوستن بتمحيص المعايير المقالية ووجد عدم كفايتها أيضا. فيمكن مثلا استبدال أحد أفعال الإنجاز بآخر ومثاله:

أعدك بأنني سأزورك غدا.

سأزورك غدا.

فكلاهما إنجازيتان، رغم أن الثانية لم تحتو على فعل الإنجاز "وعد".

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ومن هنا؛ فإن الأساس في تحديد القوة الإنجازية هو السياق بصورة عامة، سواء أكان مقاميا أو مقاليا. ومثاله ما يلي:

الجو ممطر.

فسياق هذه الجملة هو الذي يحدد قوتها الإنجازية، فإذا كانت هذه الجملة موجهة من الأم لأبنائها، فيعني عدم الخروج من البيت.، أما إذا كانت إلى الزوج الذاهب للعمل فتعني ضرورة أخذ المطارية. وغيرها من التأويلات المقامية.

ومن هنا، فقد صهر أوستن مفهوم الوصف والإنجاز في مفهوم واحد، سماه " الفعل اللغوي" وهو الذي سيشكل المرحلة الثالثة من تفكيره.

المرحلة الثالثة:

تسمى هذه المرحلة بمرحلة "الفعل اللغوي"، ومفاده "حين أتلفظ أو أقول كلاما ما، فأنا أحقق أو أنجز حقيقة فعلا ما"

وعليه فإن أي متلفظ لجملة يقوم بإنجاز ثلاثة أنواع من الأفعال اللغوية:

1- فعل القول acte locutoire ويكون على ثلاثة مستويات:

أ- مستوى الفعل الصوتي acte phonitique ويشمل مجموعة الأصوات المتلفظ بها.

ب- مستوى الفعل التركيبي acte phatique وهو بناء الجملة وتركيبها انطلاقا من قواعد اللغة التي تنتمي إليها.

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ج- مستوى الفعل الدلالي *acte rhetique* ويعني أن تحيل تلك الجمل إلى معان مرتبطة بالمتكلمين.

2- فعل الإنجاز *acte illocutoire* وهو مرتبط بالسياق، وقصد المتخاطبين من مقول الجملة.

ومن هنا؛ فإن لكل فعل لغوي قوة إنجازية تحدد غرض المتكلم، ولا يمكن استخلاصها إلا انطلاقاً من السياق الذي ترد فيه.

3- فعل التأثير *acte perlocutoire* والمقصود به رد فعل المخاطب على فعل القول؛ إذ أصل فعل القول أن يحدث أثراً في المتلقي، كالفرح أو الحزن أو غيرها من الأغراض.

وإذا حاولنا أن نطبق أسس المرحلة الثالثة على هذا المثال: المتنبي هو أشعر العرب فإننا نجد ما يلي:

أ- بالنسبة لفعل القول: المتنبي هو أشعر العرب، يتكون مما يلي:

الفعل الصوتي: ويتمثل في مجموع الأصوات مفردة ومركبة التي يثيرها لسان المتكلم.

الفعل التركيبي: ويتمثل في بناء وهيكل الملفوظ ككل: اسم وضمير ثم صيغة مبالغة ثم اسم، وقد تم تركيبها وفق أسس وقواعد اللغة العربية.

الفعل الدلالي: وهو إعلام المخاطب كون المتنبي أشعر العرب.

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ب- بالنسبة لفعل الإنجاز وهو مرتبط بالسياق، فيكون خبرا عاديا لمخاطب يجهل أشعر العرب، ثم يكون قلبا إذا كان المخاطب يعتقد أن أشعر العرب غير المتنبى، وقد يكون تعيينا إذا اعتقد المخاطب الشراكة بين المتنبى وغيره في أشعر العرب.

ج- بالنسبة لفعل التأثير: فإن هذا الملفوظ سيحدث أثرا على المخاطب، وذلك بتوجيهه لأشعر العرب وهو المتنبى، فيذهب ويتقصى أخباره ويتبع أشعاره إذا أراد تقليده.

ومثاله أيضا: إني مشغول، فقد يقصد بها إنجاز فعل الإخبار عن الشغل، فيكون بذلك فعل إنجاز، وقد يقصد بها حث المستمع عن البحث عن شخص آخر فتكون فعل تأثير.

وبعد دراسته للأفعال الغوية، قام أوستن بتصنيفها في خمس فئات وهي:¹

أ- القرارات التشريعية أو الحكميات *les verdictifs* وهي الأحكام والقرارات القضائية التي تدل على الحكم مثل: حكم، قيم، برأ

ب- الممارسات التشريعية أو المراسيات *les exercitifs* وهي التي تتعلق بممارسة السلطة والنفوذ أو تدل على الممارسة مثل: نصح، أعلن.

ج- ضروب الإباحة أو الوعديات: *les commissifs* ونموذجه إعطاء الوعد أو التكفل أو هي التي تدل على العهد.

¹ ينظر أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة- كيف ننجز الأشياء بالكلام-، ص 174

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

د-الأوضاع السلوكية أو السلوكيات *les conductifs* وهي ما يعبر به المخاطبون عن مواقفهم تجاه سلوكيات الآخرين، كالشكر، والتعزية، والاعتذار، وغيرها.

ه-المعروضات الموصوفة أو العرضيات *les expositifs* وهي ما يستعمل في عرض الأفكار، وتقديم الحجج والبراهين أثناء الحديث، مثل: أثبت، استنبط، أنكر، وغيرها.

تصور سورل

لم يكن تصور سورل ثورة على أستاذه أوستن بقدر ما كانت إضافة نوعية لها، حيث قدم بعض الأفكار، ففيما يتعلق بشروط إنجاز الفعل اللغوي وتحليله وتصنيف أفعال اللغة.

في البداية يقر سورل ما أكده أستاذه أوستن في أن القول هو العمل *parler c'est agir* ولهذا فهو عبارة عن سلوك اجتماعي يخضع لقواعد تتسم بأمرين¹:

أ- كونها قواعد عرفية من صميم ما يتبناه المجتمع.

ب-الخاصية التبليغية: بمعنى أنها تحقق التواصل ليس وفق النظرية السلوكية -المثير والاستجابة- وإنما وفق قواعد سوسيوثقافية *socioculturelles*.

وعلى هذا الأساس فقد ميز سورل بين نوعين من القواعد:²

¹نعيمة الزهري:الأمر والنهي في العربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1997 ص 58

² John R . Searle : Les actes de Langage , trad,Fr par : H  l  ne Pauchard , Hermann , Paris 1972,p72

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

1- القواعد التأسيسية: regles constitutives وهي القواعد التي تحدد نظام اللعبة، كالشطرنج مثلا.

2- القواعد الضابطة: regle regulatives وهي التي تشكل أدبيات الفعل اللغوي؛ حيث تنظم العلاقات، وتحدد السلوكيات بين المتخاطبين من أجل إنجاح الفعل اللغوي.

ومن القواعد التي وضعها سورل لنجاح الفعل اللغوي ما يلي:

أ- قاعدة المحتوى القضوي

ب- قاعدة التقديم

ج- قاعدة الإخلاص

د- قاعدة الأساسية

وإذا تم تطبيق هذه القواعد على فعل الشكل لكانت كالاتي¹:

أ- قاعدة المحتوى القضوي: الطرف "س" قدم خدمة للطرف "ص" بواسطة العمل "ج"

ب- قاعدة التقديم: العمل "ج" قد أفاد "ص" فعلا.

ج- قاعدة الإخلاص: الطرف "ص" اعترف بالجميل الذي قدمه له "س"

د- قاعدة الأساسية: الطرف "ص" عبر عن امتنانه للطرف "س"

¹الجيلالي دلاش : مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1992 ص 2 :

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

أما التعديلات التي أدخلها سورل على نموذج أوستن فهي أن الفعل اللغوي يعني إنجاز أربعة أفعال في الوقت ذاته وهي:¹

1- فعل التلفظ *acte de l'énonciation* ويشمل الفعلين الصوتي، والتركيب، عند أوستن.

2- الفعل القضوي *acte propositionnel* وهو يعادل الفعل الدلالي عند أوستن، ويتكون من:

أ- فعل الإحالة *acte de reference* وهو الذي يسمح بربط الصلة بين المتخاطبين، فقولنا: إني أقرأ مقالك. فالضمير في الفعل "قرأ" يحيل إلى المتكلم "أنا"، والكاف تحيل على المخاطب ذاته.

ب- فعل الحمل: *acte de prediction* وهو الإسناد؛ فلو قلنا محمد مجتهد، فقد أسندنا الاجتهاد وهو المحمول على محمد وهو المحمول عليه.

3- فعل الإنجاز *acte illocutionnaire* وهو ما يحقق القصد المعبر عنه في القول، كأن يكون أمراً، أو نهياً، أو تحذيراً، أو تهديداً، أو غيرها.

4- فعل التأثير *acte perlocutionnaire* ويهتم بالنتائج التي يتركها فعل الإنجاز على المخاطبين.

¹ Voir: John R . Searle : Les actes de Langage , trad,Fr par : H  l  ne Pauchard , Hermann , Paris 1972,p59-72

8- تصور (جرايس) مرحلة الفعل غير المباشر

إن أهم شيء قدمه جرايس في تصوره للفعل اللغوي هو أنه في بعض الأحيان لا تدل الجملة على المحتوى الذي يحمله محتواها القضيوي ؛ بعبارة أخرى، يمكن إنجاز فعلين لغويين: أحدهما مباشر، والآخر غير مباشر. فمثلاً: إذا قال الأستاذ لطالب لم يحضر واجبه "بارك الله فيك". فيمكن فهم هذا الملفوظ خالياً من السياق الوارد فيه بواسطة العلامات اللغوية: الفعل بـارك، وفاعله لفظ الجلالة، وحرف الجر الموصول بكاف الخطاب، على أساس أنه دعاء له، غير أن حقيقة الأمر العكس، فهو يريد التوبيخ، والتهديد، وكل ما يحمل صبغة اللوم والعتاب.

غير أن فهم هذا السياق سيستلزم السياق الذي دار فيه الحوار، ولهذا أطلق جرايس على هذا المفهوم "الاستلزام الحوارية" مميزاً بين القوة الإنجازية الحرفية والقوة الإنجازية المستلزمة، الأولى يستخلص من الجوانب الشكلية للغة، أما الثانية فتدرج المقام.

لقد حاول جرايس أن يؤسس للضوابط التي تحكم الحوار اللغوي والآليات التي يتم بها الانتقال من الفعل اللغوي المباشر إلى الفعل اللغوي غير المباشر، ولذلك وضع أربع قواعد أساسية تقع تحت مظلة مبدأ عام سماه "مبدأ التعاون" والذي مفاده "اجعل

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

تدخلك مطابقا لما يقتضيه الغرض من الحوار الذي تساهم فيه، في المرحلة التي تتدخل فيها"¹ وأما القواعد التي تندرج ضمنه فهي:

1- قاعدة الكم: ويقصد بها الكم المعلوماتي المطلوب لإنجاح الفعل اللغوي، وينقسم بدوره قسمين:

أ- أن تتحقق الإفادة المطلوبة.

ب- أن لا يتجاوز تلك الإفادة.

2- قاعدة الكيف: ويتعلق بالصدق في العملية الحوارية. وهي فرعان:

- لا تقل ما يخالف اعتقادك.

- لا تقل مالا تستطيع إثباته.

3- قاعدة الورد: ويعني عدم الخروج عن الموضوع، والتقيد بموضوع الحوار.

4- قاعدة الكيفية: وهي شروط اجتماعية وأخلاقية واجتماعية ومنها:

أ- الوضوح وتجنب اللبس والغموض.

ب- التركيز.

ج- أن يكون منظما.

د- أن يكون مؤدبا.

¹ أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ، دار الكتاب الجديد المتحدة لبنان ، ط2،

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

وعلى هذا الأساس، فإن استلزام جملة ما لمعنى مغاير لمعناها الحرفي لا يتم إلا بإرضاء الشروط التالية:¹

-احترام مبدأ التعاون بين المتخاطبين والقواعد المنبثقة عنه.

-فرضية إدراك الشخص المخاطب المعنى المستلزم.

-قدرة المخاطب على الإدراك والاستنتاج.

-مراعاة المقام سواء أكان لغويا أم غير لغوي.

-الأخذ في الاعتبار الخلفية المعرفية للمتخاطبين.

-مراعاة المعنى العرفي.

وانطلاقاً من هذا فإن المعاني تنقسم قسمين:

أ-المعاني الصريحة وتشمل:

-محتوى القضية: ويشمل معاني الوحدات اللغوية في الملفوظ مضمومة إلى بعضها.

-القوة الإنجازية الحرفية: وتشمل مختلف المؤشرات.

ب-المعاني الضمنية وهي قسمان:

-معان عرفية: وهي المعاني المرتبطة بالجملة ارتباطاً يجعلها لا تتغير مهما تغير

سياقها.²

¹ ينظر: نعيمة الزهري: الأمر والنهي في العربية ص ص 162-165

² ينظر: احمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية ص 25.24

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

-معان حوارية أو سياقية: وهي التي تتولد أثناء العملية الحوارية وهي إما:¹
ناتجة عن سياق خاص لطبقة مفاهيمية معينة، وهذا ما سماه الاستلزام الحواري الخاص.

أو معاني عامة، حيث لم تعد مرتبطة بسياق معين، وهذا ما سماه غرايس الاستلزام الحواري المعمم.

لقد ألهم غرايس بطرحه للأفعال اللغوية غير المباشرة سابقه، فحملهم على تبني طروحاته من جهة، ومحاولتهم تعميق طرحه من جهة أخرى.
ولهذا فقد أعاد سورل تصنيف الفعل اللغوي غير المباشر على مستوى طبيعة إنجازه صنفين:

الأول: الإنجازات البسيطة: حيث سيشكل الفعل اللغوي قوة إنجازية واحدة يكون مضمونها المعنى الحرفي للملفوظ.

الثاني: الإنجازات المعقدة: وهنا يكون إنجاز الفعل على مستويين:

-أحدهما إنجاز حرفي مرتبط بالصيغة الحرفية للملفوظ.

-الثاني: إنجاز مقامي يستلزمه السياق.

¹ ينظر: نعيمة الزهري، الأمر والنهي في العربية ص 165

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ويعد طرحه هذا بمثابة تبين صريح لما طرحه غرايس لحد الآن، أما الجديد فكيفية الانتقال من المعنى المباشر إلى المعنى غير المباشر، وهنا يفترض سورل أن الأساس يكمن عبر سلسلة من الاستدلالات، أساسها المعرفة المشتركة بين المخاطبين.

كما أن سورل قام بتصنيف الأفعال اللغوية وحصرها في خمسة أصناف وهي:¹

1- الأفعال التمثيلية les actes représentatifs/assertifs

وتشمل هذه كل الأفعال التعبيرية التي يصدر فيها المتكلم حكماً؛ قد يكون

صادقاً أو كاذباً، ومثل لها سورل بالرمز التالي: |ـ| ع(م)

حيث يشير

|ـ| إلى الطابع التقريبي.

↓ يشير إلى مدى مطابقة الكلمات للواقع.

"ع" تشير إلى اعتقاد المتكلم.

"م" تشير إلى محتوى القضية.

2- الأفعال التوجيهية أو الأمرية les actes directifs

¹ ينظر: جيفري سامبسون: المدارس اللغوية، التطور والصراع، تر: أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1993. ص 26-28

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

وهذه الأفعال غرضها تأثير المتكلم على المخاطب من أجل إنجاز فعل ما، وتشمل أفعال الطلب والأمر والنهي وغيرها، ورمز لها غرايس بالرمز ! ↑ ر [(س)] ينجز (ف) حيث يشير كل من:

! علامة مميزة للأوامر

"↑" مطابقة الكلمات للعالم

"ر" الرغبة وهي الحالة السيكولوجية

"س" المستمع أو المخاطب

"ف" الفعل اللغوي الذي ينجزه المخاطب مستقبلاً

3- الأفعال الالتزامية les actes commissifs

إذا كانت الفئة الأولى "الأفعال التوجيهية" تجعل من المخاطب هو الذي يقوم بإنجاز فعل ما؛ فإن هذه الفئة تشير إلى التزام المتكلم بإنجاز الفعل هو ذاته في المستقبل، ورمزها هو:

ل ↑ م [(ك)] ينجز (أ) [حيث يشير كل رمز من الرموز إلى :

"ل" العلامة المميزة للالتزامات.

↑ يشير إلى مطابقة العالم للكلمات.

"م" المقصد وشرطه إخلاص المتكلم.

"ك" يشير إلى المتكلم.

"أ" يشير إلى الفعل الذي سينجزه المتكلم مستقبلا.

4-الأفعال التعبيرية les actes expressifs

وتشير هذه الفئة إلى مجموعة الأفعال التي تعبر عن حالة سيكولوجية، ولا توجد فيها ضرورة مطابقة الكلام للعالم، ولا التأثير، أو غيرها مما احتوته الفئات التي قبلها، وتشمل هذه الفئة أفعال التهنتة والاعتذار والشكر، ورمزها ع [0 ك(س) /ص +

خاصية)] حيث يشير:

"ع" الغرض من التعبير

"0." مجموعة خالية تشير لاتجاه المطابقة

"ك" الحالة السيكولوجية المرافقة لإنجاز أفعال هذه الفئة

"س" المتكلم

"ص" المخاطب

5-الأفعال التصريحية les actes déclaratifs

هذه الفئة من الأفعال لا تعبر وزنا لمحتوى القضية ولا لإنجازها؛ إذ تتطابق مع الواقع إذا توافرت شروط إنجازها، كإعلان الجلسة أو انتهاء الأشغال أو غيرها ورمزها هو

ص 0(ق) حيث:

"ص" يشير إلى إنجاز هذه الأفعال

"↕" يدل على أن المطابقة مزدوجة بين العالم والكلمات

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

"0" المجموعة الخالية تشير إلى خلو الإخلاص

"ق" يدل على محتوى القضي

الفصل الثالث: النظريات التداولية

نظرية الملاءمة

لم تصمد المبادئ التي قدمها غرايس أمام وجه العديد من الانتقادات، وذلك بجمع تلك المبادئ كما فعل هارنيش *harnish* لمبدأي الكم والكيف، أو تلك الاختزالات التي قام بها صادوك *sadok* من جهة، وإضافته بعض المعايير لاختبار تلك المفاهيم من جهة أخرى¹

إن أهم ما تعرضت له نظرية غرايس هو التشكيك في كل ما طرحته من مبادئ تنظرية، وإجراءات عملية عدا عنصر الملاءمة، وهو ما قدمه كل من ولسن *wilson* و سبربر *sperber* اللذان اعتمدا على مبدأ الملاءمة الغرايسي ليشكلا منه نظرية سميها "نظرية الملاءمة"

تجمع نظرية الملاءمة في طياتها رافدين معرفيين: فهي تعالج الظواهر البنيوية للملفوظات في جميع المقامات من جهة، كما أنها نظرية إدراكية بحكم اعتمادها

ينظر: محمد محمد يونس علي، المدارس اللسانية، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1،

2004 ص100

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

على علم النفس المعرفي وخاصة النظرية القالبية modularité لفودور fodor¹ jery من جهة أخرى

ينطلق فكر فودور من كون أن اشتغال الذهن البشري ممنهج ومنظم؛ إذ تلقيه لأي عملية تخاطبية يكون عبر مراحل متتالية وهي:

أ-المحولة: ويتمثل دورها في تحويل معطيات الإدراك الحسي، سواء أكانت سمعية أو بصرية، إلى نسق قصد التمهيد لاشتغال النظام الطرفي.

ب-النظام الطرفي: ويتكون من مجموعة من الأنظمة، يختص كل فرع من تلك الأنظمة بمعالجة معينة، فهناك من يختص بمعالجة المرئيات، كما أن هناك من يهتم بمعالجة السمعيات، إلى غير ذلك، ووظيفته الأساسية هي تقديم أداة أولية، أو تأويل مبدئي للمعطيات، يكون النظام الموالي هو المسئول عن تأويلها بصورة نهائية

ج-النظام المركزي: وهو المسئول على عملية التأويل؛ كونه يعتمد في ذلك على المعلومات السابقة، أو المعلومات التي قدمها النظام الطرفي، ويكون ذلك بصورة استدلالية.

¹ ينظر: بن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ص246،245

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

إن الطبيعة العملية لنظرية الملاءمة، واعتمادها على علم النفس المعرفي خاصة في المجال التأويلي أو الإدراكي للملفوظات، جعل العديد يطلق عليها "التداولية المعرفية" عند سبربر وولسن¹

كما تعتبر نظرية الملاءمة السياق غير موجود قبل العملية الحوارية؛ كونه شيء غير معطى، ولكنه بني تبعاً لتوالي الألفاظ"²

ويتكون من مجموعة من الافتراضات السابقة المستمدة من مصادر ثلاثة وهي:

1- **تأويل الأقوال السابقة:** وهو كل ما هو مخزن في الذاكرة، ويمكن استخدامه في عملية التأويل.

2- **المحيط الفيزيائي:** ويقصد به المكان المؤثر للعملية التخاطبية، فهو يسهم إلى حد بعيد في تأويل الملفوظات.

3- **النظام المركزي:** وهو القادر على تأويل تلك الملفوظات، انطلاقاً مما يتوفر عليه من معلومات عن العالم، مخزنة في ذاكرته.

¹¹ Voir george elia sorfati.precis de pragmatique.edition nathran.paris .2002p 67

² Jaque moaschler.ana reboul.dictionnaire encyclopidique de pragmatique .edition seul1994p140

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

أما فيما يتعلق بطريقة الوصول إلى تلك المعلومات المخزنة في الذاكرة داخل النظام المركزي فيكون عبر "الصيغة المنطقية"، كونها تحتوي على مجموعة من المفاهيم، ولكل مفهوم عنصر تصوري في الذاكرة المركزية، يحمل ثلاثة أنواع من المعلومات وهي:

- المدخل المنطقي: ويختص بالمعلومات ذات الصيغة المنطقية كالاستلزام، التناقض.

- المدخل الموسوعي ويشمل جميع المعلومات عدا المنطقية منها والمعجمية.

- المدخل المعجمي: وهي تلك المعلومات التي تخص عنصرا معجميا ما؛ أي تضم المعلومات الصوتية والتركيبية¹

أما انتقاء الافتراضات المسبقة "فيكون" انطلاقا من المعلومات التي تتوفر لدى المخاطبين في مقام العملية التواصلية، وفي المحصلة، إن نجاح العملية التواصلية مرهون بالتحكم في قاعدة واحدة وهي مبدأ الملاءمة" كما أن التزام أطراف العملية التخاطبية بهذا المبدأ جد ضروري؛ إذ هو الكفيل بتحقيق أمرين:

الأول: إنجاح العملية التواصلية

الثاني: الفهم الصحيح لما قيل، وبالتالي الوصول إلى مقصدية المتلفظ.

¹ ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ص 39

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

كما أن مبدأ الملاءمة يتحدد انطلاقاً من وسيطين هما: الآثار المعرفية والجهد المعرفي، وهما يشتغلان وفق المعادلتين التاليتين:

1- كلما أنتج هذا الملفوظ آثاراً سياقية أكثر؛ كلما كان هذا الملفوظ ملائماً.

2- كلما تطلب الملفوظ جهداً أقل في معالجته؛ كلما كان هذا الملفوظ ملائماً.

ومن هنا؛ نجد أن أساس نظرية الملاءمة هو السياق، فهو الكفيل بإنجاح العملية التخاطبية، ولعل هذا الأمر هو ما يجعلنا نقر ليس بتقاطعها مع العديد من النظريات اللسانية الحديثة فحسب، بل وارتباطها بجذور النظرية العربية القديمة المبنية على أساس مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

نظرية الافتراض المسبق *présupposition*

يعد الافتراض المسبق من المفاهيم الأساسية في اللسانيات التداولية؛ إذ من خلاله يمكن للعملية التخاطبية أن تنجح أو أن تفشل؛ كونه يشكل "أرضية مشتركة مسلماً بها لدى كل أطراف المحادثة"¹

فأطراف العملية التواصلية يخضعون في تواصلهم إلى بعض الافتراضات المسلم بها مسبقاً فيما بينهم، والمبنية أساساً من سياقات وبنى تركيبية في عملية إنتاج الملفوظ.

¹ جورج يول، براون، تحليل الخطاب، ص 37

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ولهذا، فالافتراض المسبق" هو العنصر الدلالي الخاص بالقول أو تحويله إلى استفهام، هل؟ وإلى نفي لا"¹

ومن أبسط الأمثلة في هذا المجال ما يلي:

نجح علي في الامتحان

وبالاعتماد على عمليات التحويل بالاستفهام والنفي نستنتج ما يلي:

أ- هل نجح علي في الامتحان؟

ب- ما نجح علي في الامتحان.

إن المعنى الضمني المشترك هو أن عليا تلميذ، وينبغي لطرفي العملية التواصلية أن يكونا على علم بعلي وبطبيعة نشاطه. وإذا اختلفت بعض المفاهيم في هذا الأمر فإنه سيحكم على العملية التواصلية بالفشل؛ فإذا كان الشخص "ب" مثلا لا يعرف عليا فسيقول: من علي؟ أو هل علي مازال يدرس؟

ومن هنا يظهر الفرق الجوهرى بين الافتراض المسبق، والأقوال المضمرة-SOUS **entendu** "فالأول هو نتاج للسياق الكلامي؛ أي يمكن أن نستشفه من خلال الملفوظات ذاتها، وأما الثاني فهو وليد الملايسات المحيطة بالعملية التواصلية"¹

¹ Oswald ducrot.dire et ne pas dire.principes de semantique linguistique.edition hermann 2eme edition .paris1980p81

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

كما أن: "القول المضمّر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث"² فهو مرهون بخصوصيات الحديث لأن ميزته الأساسية عدم الاستقرار. كما أن المتكلم وهو يحاول رفع الردود المشينة من مستمعيه يتخفى وراء المعنى الحقيقي، ويلجأ إلى خلق تأويلات مختلفة ليخرج نفسه من الحرج، كأن يقول مثلاً: "أنا لم أقصد ذلك" ولأنه أخيراً يستشف من طريق عملية استنتاجية تتدخل فيها عوامل السياق"³

وإذا كانت المفاهيم التي يتجلى فيها الافتراض المسبق تعود في طبيعتها الأولى إلى علم الدلالة، إلا أن المعاني التي اكتسبتها في السياقات المختلفة هو الذي أضفى عليها الطابع التداولي، وتوضيحا لهذا الأمر نقول أوريمني: "إن الافتراض المسبق التداولي هو تلك المعلومات التي يحتويها الكلام، والتي ترتبط بشروط النجاح التي

¹ Ojwald ducrot.dire et ne pas dire.principes de semantique linguistique.edition hermann 2eme edition.paris1980p34

²مسعود صحراوي، التداولية عند العرب، ص32

³ Ojwald ducrot.dire et ne pas dire.principes de semantique linguistique.edition hermann 2eme edition.paris1980p132

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

لا بد أن تتوفر لكي يحتوي الفعل الكلامي المزمع تحقيقه قابلا لأن يفضي من الناحية التأثيرية"¹

إذا، فأساس أي عملية تواصلية مرهون بالافتراضات المسبقة لدى أطرافها، وعلى أساسها يكون النجاح والفشل؛ ذلك أن "الافتراض المسبق لمحتوى معين يعني قبول هذا الأخير كشرط لحوار لاحق، ولهذا السبب يتبين لنا سبب اختيارنا للافتراض المسبق، بحكم أنه فعل كلامي خاص، لأنه ذو قيمة قانونية، وبالتالي لغوية بالمعنى الذي أسند لهذا المصطلح، ففي حالة تحقيق هذا الفعل الكلامي نقوم بتغيير إمكانيات الكلام عند المتخاطبين"²

ومن خلال كل ما تم التطرق إليه نجد أن الافتراض المسبق ينبغي أن يستند على أرضية مشتركة بين أطراف العملية التخاطبية، ويمكن أن يظهر انطلاقا من التحويلات التي تلحق الصيغة الأولية سواء بالاستفهام أو النفي، كما أنه يستنتج من البنى التركيبية للجمل، عكس القول المضمّر، الناتج عن ظروف العملية التواصلية.

¹ ينظر: عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف ط2003، 1، الجزائر ص118

² Ojwald ducrot.dire et ne pas dire.principes de semantique linguistique.edition hermann 2eme edition.paris1980p91

النظرية الحجاجية

لقيت الدراسات الحجاجية منذ بداياتها أهمية كبرى؛ إذ إنها اهتمت بتحليل الخطاب، كون هذا الأخير يحمل مجموعة من الصيغ والعبارات ذات البعد الحجاجي، والموجهة إلى متلق بغرض الإقناع مهما كانت طبيعته، وعلى هذا الأساس، جرى البحث في الآليات التي تحكمه، والتقنيات التي تسيره، وذلك بربطه بالسياقات المختلفة.

يعرف ميشال ماير m.mayer وشايم بيرلمان ch.perlemen الحجاج بكونه: "جهدا إقناعيا، ويعتبر البعد الحجاجي بعدا جوهريا في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه"

إن التعريف المذكور آنفا يجعلنا نعتبر الخطاب مجموعة من أفعال الكلام، والمتضمن مجموعة من المقاصد قصد التأثير في المتلقي، ولهذا فإن إخضاعه لمعايير النجاح والفشل يمكن أن ينطبق عليه تلك المواصفات التي قدمها كل من غرايس وأوستن وغيرهما، وعليه فإن التأثير في المتلقي يكون انطلاقا من أمرين:

الأول: مراعاة السامع: كونه المستهدف بالعملية الإقناعية، وهنا تدخل حتى حالته النفسية.

الثاني: مراعاة الآليات الحجاجية التي يمكن استخدامها لتلبية غرض الإقناع.

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

إن هذين الأمرين - مراعاة المتلقي ومقامه - هما أساس أي عملية حجاجية، ولهذا فقد أطلق على الدراسات الحجاجية الحديثة اسم البلاغة الجديدة، والذي ظهر في المؤلف المشترك بين بيرلمان وزميلته تيتيكا tyteca الموسوم "مصنف في الحجاج، البلاغة الجديدة" ومفهومه هذا يضرب بجذوره في كتاب أرسطو "فن الخطابة" حيث بنيت الخطابة عنده على أساس الإقناع، وأما كتابه "فن الشعر" فيتمحور حول الشعاعية، ولهذا فإننا نقول إن ترجمة البلاغة العربية ب *rhétorique* هو إقصاء للجانب الشعري منها، وهو ما يعد انتهاكا صارخا لهذا العلم.

والملاحظ أن المؤلفات التي حامت حول الحجاج لم ترسوا على مفهوم واحد لها؛ كون المنطلقات التي ينطلق كل منها يختلف عن الآخر، فمنهم من يركز على البعد اللساني، ومنهم من يركز على البعد البلاغي أو الفلسفي، ولكننا في دراستنا هذه سنركز على أهم رواد هذا الفن ومنهم

أ- بيرلمان وتيتيكا:

يرى كل منهما أن "موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد من درجة ذلك التسليم"¹

¹ Perelman et Tyteca .traité de l'argumentation la nouvelle rhétorique. édition de l'université de Bruxelles.5ème edition.1992 p5

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

إن منطلق هذين الباحثين هو إقناع المتلقي بمجموعة من الحجج تكون قادرة حتى على قلب قناعاته وتصوراته، إذا، فغاية الحجاج عنده "أن يجعل العقول تدعن لما يطرح عليها، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب، أو هو على الأقل في جعل السامعين مهيين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"¹

إن الحجاج وفق هذا المفهوم عند بيرلمان هو إخضاع المتلقين وإقناعهم بضرورة تغيير قناعاتهم أو تغيير سلوكهم، ولهذا فإن هدف الباحثين هو إخراج الحجاج من دائرة الخطابة والجدل الذي ظل لفترات طويلة في القديم مرادفا للمنطق نفسه فالباحثان عملا من ناحية أولى على تخليص الحجاج من صرامة الاستدلال، الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع واستلاب، فالحجاج بالنسبة لهما معقولة وحرية، وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاوره"²

ب- النظرية الحجاجية عند تولمين tolmene

بنى تولمين كتابه المعنون *the use of argument* عام 1958 والذي كرس جهده فيه لدراسة التقنيات الحجاجية المستعملة في الخطابات العادية، انطلاقا من أمرين:

¹ Perelman et Tyteca .traité de l'argumentation p59

² عبد الله صولة، الحجاج أطره منطلقاته وتقنياته ص298

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

الأول: محاولته الفصل بين المنطق والحجاج

الثاني: محاولة إضفاء الطابع العملي للحجاج وربطه بالخطابات العادية.

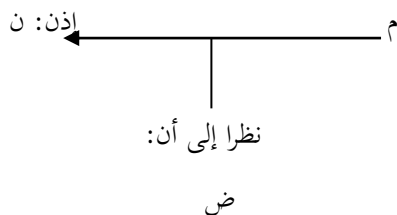
لقد كان عمله إذا مبنيًا على إبعاد "القضايا التي تستدعي التقنيات المنطقية، ويتجه نحو التقييم العملي للحجاج، فيثير قضايا عامة أغفلها المنطق الذي ظل عبر تاريخه يميل إلى التطور بعيدا عن المشاكل والقضايا العملية لنتجه نحو حالة من الاستدلال التام، يصير فيها موضوعا للدراسة النظرية، ويتحرر من كل الالتزامات العملية المباشرة، ويظل مع ذلك ميالا إلى الجمع بين كونه علما صوريا، وبين كونه منهجيا نقديا للحجاج الواقعية"¹

لقد حاول تولمين ترجمة عمله إلى بعض الخطاطات التي يمكن للقارئ استيعاب وجهة نظره ومن بينها:²

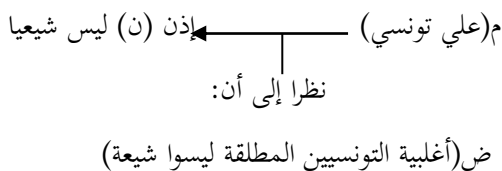
الرسم الأول: وفيه نجد الرسم الحجاجي ذا ثلاثة أركان أساسية هي المعطى (م) والنتيجة (ن) والضمامن (ض). ويصاغ نظريا على النحو التالي:

¹ محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص60

² عبد الله صولة، الحجاج في القرآن ص 22، 23.



والمثال عليه:



والملاحظ على هذه الخطاطة أنها تشبه إلى حد بعيد المنطق الأرسطي القائم على المقدمة الكبرى والمقدمة الصغرى، ولهذا فهو غير قادر على استيعاب جميع الحجج، بالإضافة إلى أنه أهمل المتلقي، وهو عنصر أساسي في العملية الحجاجية.

ج-الحجاج عند انسكونبر j.c anscombe وديكرو d.ducrot

يظهر جهد الباحثين في عملهما المشترك " l'argumentation dans la langue" إذ اعتبروا "أن مصطلحي البلاغة والحجاج يكتسبان معاني جد مختلفة عن التي كانت متداولة في التقاليد الأرسطية"¹

¹ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن ص27

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

إن طبيعة الاختلاف نابع من كون الحجاج يتموضع في اللغة على خلاف ما جاء به بيرلمان وتيتيكا حينما وضعاه في الخطاب وألبساه المنطق الرياضي أو الشكلي أو الصوري.

إن تبيينهما لهذا الطرح يعني اعتمادهما على البعد التداولي ورفضهما "التصور القائم على الفصل بين الدلالة وموضوعها - معنى الجملة-، والتداولية وموضوعها، استعمال الجملة في المقام من جهة، والسعي إلى سبر كل ماله صلة داخل بنية اللغة بالاستعمال التداولي المحتمل من جهة أخرى، فيكون مجال البحث عندهما هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة، ويكون موضوع البحث هو بيان الدلالة التداولية المسجلة في أبنية اللغة وتوضيح شروط استعمالها الممكن"¹

إن أهم ما قام به الباحثان هو تركيزهما على المقام المؤطر للعملية التخاطبية على خلاف السابقين، وهو نابع من تصورهما أن "أن للكثير من الأفعال اللاقولية وظيفة حجاجية تتمظهر في بنية الجمل، وتحمل الجمل مؤشرات تحدد قيمتها التداولية داخل البنية التركيبية باستقلال عن المحتوى الإخباري"²

¹ شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، جامعة الآداب، تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية

التونسية، ص 351

² محمد طروس، النظرية الحجاجية ص 106

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

إن هذا التصور يعني الفصل بين وظيفتين أساسيتين من وظائف اللغة وهما: الوظيفة الحجاجية، والوظيفة الإخبارية "فالادعاء بنقل الحقيقة ووصفها لن يكون إلا زيفا وبهتاناً وتزويراً لهذا الادعاء، أكثر من ملامستنا لما هو جوهري بهدف التأثير على الآخر من خلال الضغط عليه"¹

كما أن الوظيفة الحجاجية تعمل حسب تصورهما على "تحقيق عمليتين اثنتين هما فعل التصريح بالحجة من جهة وفعل النتيجة من جهة أخرى، سواء أكانت هذه النتيجة مصرحاً بها أو مفهومة-بدون تصريح-من طرف ق3"²

"كما أورد ديكرو إلى جانب ذلك تحليلاً أطلق عليه مصطلح آلية المعنى، وقوامه أن أي عبارة لغوية تدرس بالمعنى اللساني الذي يخصها بالدلالة، ثم تعالج هذه الأخيرة بالمعنى البلاغي الذي يخص معنى الملفوظ، ويضطلع المعنى البلاغي بوظيفتين أساسيتين: الأولى: إعطاء مخرج أولي يمهد لظهور المعنى، والثانية مقابلة هذا المعنى التمهيدي بجديد السياق الملفوظي"³

¹ Voir c.f. jean claude anscombre et oswaldducrot .l'argumentation dans la langue .pierre mandage.edition Belgique p169

² Ibid p11

³ خليفة بوجادي، اللسانيات التداولية ص11

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

إن تصور الباحثين قائم على نظرية مقامية "تتلخص في ضرورة مراعاة جملة من العلاقات الحتمية بين المقام والمخاطبين والسامعين وأنواع القيم ومراتب الكينونة والثقافة وآفاق انتظار المعنيين وتأثير ذلك على فكر المتكلم-المبدع- وعلاقة ذلك كله بوصفه كائناً بما ينبغي أن يكون، وكان قد أعطى دوراً مهماً لجوانب التقييم والتوقعات المحتملة في تحقيق إنجازية الخطاب الحجاجي كفعل لغوي"¹

¹ محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند "بيرلمان" وتطوره في البلاغة العربية، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد 3، 2000 ص 87

الباب الثاني:
البعد التداولي
في
المباحث البلاغية

الفصل الاول: في تداولية مباحث علم المعاني

يربط صاحب المفتاح علم المعاني بالإفادة، وهي الشرط الضروري لأي عملية تواصلية، فيعرفه بقوله: " اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل منها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"¹

وتدخل خواص التراكيب ضمن الخصوصية التي تتطلبها العملية التبليغية، ولهذا رجع صاحب المفتاح ليفسر ذلك؛ حيث يقول: "وأعني بخاصية التركيب ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب، جارياً مجرى اللازم له"²

فعلى أساس التركيب تتحدد طبيعة الملفوظ، ويسهل إدراكه، ومن ثم يتحقق التواصل ويكون الإنجاز، ولا غرو هنا إذا قلنا إن هذا الأساس هو الذي يبنى عليه علم المعاني، والقائم أصلاً على أن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى في غالب الأحيان. وإذا اختلف أمر من ذلك أدى إلى فساد المعنى وغياب الدلالة، ومعه بالضرورة تنعدم الإفادة

¹ السكاكي: أبو يعقوب يوسف، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2(1987.1407). 247

² نفسه ص248

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

التي هي الأصل؛ إذ إن "علماء العرب عامة كثيراً ما كانوا يركزون على دعامة "الإفادة" في دراستهم للجملة والنص؛ إذ هي مناط التواصل بين مستعملي اللغة، فقد كانت مراعاتها من قبل علمائنا عنواناً على أي دراسة لغوية وظيفية جادة"¹ ونحن سنحاول تقصي أبواب هذا العلم ومقاربتها مع ما طرحه التداوليات الحديثة:

تداولية الكلام بين الخبر والإنشاء:

يقول أحمد المتوكل: "من المعلوم أن الفكر اللغوي العربي القديم يتضمن ثنائية الخبر والإنشاء التي تشبه إلى حد بعيد الثنائية الأوستينية (الوصف، الإنجاز) كما يدل على ذلك تعريف القدماء للخبر والإنشاء"² وعلى هذا الأساس، سنحاول جاهدين البرهنة على هذه المقولة وفق المباحث التالية:

–البعد التداولي في الخبر

يجدر بنا في البداية أن نقدم أهم التعاريف التي وضعها البلاغيون العرب للتفريق بين الخبر والإنشاء، فالشيء يعرف بنقيضه، ومن ذلك: يقول السكاكي في شأن الخبر والإنشاء: "اعلم أن المعنيين بشأنهما فرقتان: فرقة تحوجهما إلى التعريف، وفرقة تغنيهما عن ذلك...أما في الخبر فالأن كل أحد من

¹ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 51 :

² أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ص 37

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

العقلاء ممن لم يمارس الحدود والرسوم، بل الصغار الذين لهم أدنى تمييز يعرفون الصادق والكاذب"¹

ويؤكد المبرد قضية ارتباطهما بالصدق والكذب فيعرفه "الخبر ما جاز على قائله التصديق والتكذيب"²

وقال ابن فارس في باب معاني الكلام: "إن معنى الكلام هي عند أهل العلم عشرة: خبر، واستخبار، وأمر، ونهي، ودعاء، وطلب، وعرض، وتحضيض، وتمن وتعجب" والذي يعيننا هو القسم الأول الذي وضعه وهو الخبر، والذي يقول فيه: "أما أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنه إعلام، تقول أخبرته، أخبره، والخبر هو العلم، وأهل النظر يقولون: الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب أمراً في ماضٍ من زمان، أو مستقبل أو دائم"³

ويقصد بأهل النظر قدامة بن جعفر⁴ الذي يعرف الخبر بأنه "كل قول أفدت به مستمعه ما لم يكن عنده، كقولك: قام زيد، فقد أفدته العلم بقيامه"¹

¹ السكاكي:، مفتاح العلوم، ص164

² المبرد، المقتضب،، تح: عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، د، ت، ج 3 ص89

³ ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1418، 1997)، ص133،

⁴ ينظر عبد العزيز عتيق، علم المعاني دار النهضة، بيروت لبنان (1985، 1405) ص4

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ويقرنه أيضا -كسابقه- بالصدق والكذب. فيقول "وليس في صنوف القول وفنونه ما يقع فيه الصدق والكذب غير الخبر والجواب، إلا أن الصدق والكذب يستعملان في الخبر، ويستعمل مكانهما في الجواب والخطأ والصواب والمعنى واحد، وإن فرق اللفظ بينهما، وكذلك يستعمل في الاعتقاد موضع الصدق والكذب الحق والباطل والمعنى قريب من قريب"²

إن الصدق والكذب يمكن أن يكونا في الغالب الحد الفاصل بين الخبر والإنشاء، بل وقد يكون حتى الإجماع عن البلاغيين، وأما أساس الاختلاف فيقع في طبيعة الصدق والكذب، والمعيار الذي على أساسه يتم الحكم. وقد وقع الاختلاف بين البلاغيين في نقطتين:

-مدى مطابقة الكلام لما يعتقده المتكلم

-مدى مطابقة الكلام للواقع الخارجي

وقد يتناقض الأمران: "فصدق الخبر أو كذبه عند النظام هو في مطابقته لاعتقاد المخبر أو عدم مطابقته، فالخبر عنده يكون صادقا بشرط مطابقته لاعتقاد المخبر

¹ ينظر: قدامة بن جعفر، نقد النثر تح: عبد الحميد العباري مع تقديم طه حسين، دار الكتب العلمية، بيروت (1995.1416) ص 28

² ينظر: قدامة بن جعفر، نقد النثر ص 28

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

حتى ولو كان ذلك الاعتقاد خطأ في الواقع، وكذلك يكون الخبر عنده كاذبا بشرط عدم مطابقته لاعتقاد المخبر، حتى ولو كان ذلك الاعتقاد صوابا في الواقع¹ أما الجاحظ فرفض أن يكون الخبر محصورا في قسمين فجعله ثلاثة "صادق وكاذب، وغير صادق ولا كاذب، لأن الحكم إما مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر أو عدمه، وإما غير مطابق مع الاعتقاد أو عدمه، فالأول هو الصادق، والثالث هو الكاذب، والثاني والرابع كل منهما ليس بصادق ولا كاذب"²

وقد حاول القزويني أن يضع حدا للخلاف فقال: "اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب، فذهب الجمهور إلى أنه منحصر فيهما، ثم اختلفوا فقال الأكثر منهم: صدقه مطابقة حكمه للواقع وكذبه عدم مطابقة حكمه، وهذا هو المشهور وعليه التعويل"³

غير أن ما قدمه القزويني لم يؤدي إلى حل بعض المشكلات؛ ذلك أن تعريفه لا يستغرق جميع الأمثلة اللغوية، وهو ما أثاره سعد الدين التافتراني. ولا يهمنا نحن تلك الإشكالات بقدر اهتمامنا بتقديم الرؤية التي تتوافق وما تطرحه التداولية الحديثة

¹ عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص 42

² القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ط 1، (2003.1424). ص 26.25

³ م ن ص

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

إن أقرب رؤية هي التي قدمها الدسوقي حيث عرف الخبر بقوله "إن كان لنسبته خارج **تُقصد** مطابقتها له، أو **تُقصد** عدم مطابقتها له" وأما الإنشاء فعرفه بقوله: " ألا يكون لنسبته خارج **تُقصد** مطابقتة أو عدم مطابقتة"

والجديد عند الدسوقي هو في إدخاله مفهوم **القصديّة**، وبذلك فقد تجاوز مفهوم الصدق والكذب، ومعيار النسبة الخارجية، وهذا الأمر هو ما طرحه أوستن والتداولية الحديثة، وعليه يمكن " أن نعد هذا التفسير تفسيراً ملائماً ومقبولاً، بما أنه يدرج مفهوم القصد الذي هو قرينة تمييزية ناجحة، تكسب التحليل أساساً تداولياً صريحاً، فالخبر والإنشاء كلاهما له خارج، وكلاهما يطابق ذلك الخارج، لكن القصد من الخبر أن يطابق ذلك الخارج، وليس القصد من الإنشاء ذلك"¹

وأما ما طرحه الفارابي في كتابه الحروف، فهو يقترب إلى حد بعيد مع ما طرحه أوستن، حين صنف **الملفوظات** إلى قسمين: "أقوالاً، وأفعالا تتم بالأقوال... والقول الذي يُقتضي به شيء ما فهو يُقتضي به إما قولٌ ما، وإما فعل شيء ما، والذي يُقتضي به فعل شيء ما، فمنه نداء ومنه تضرع وطلب، وإذن، ومنع، ومنه حث، وكفّ، وأمر، ونهي"²، ويزيد اقترابه حين طرح مفهوم **القوة الإنجازية للملفوظ** وذلك

¹ مسعود صحراوي، التداولية عند العرب، ص 68: 69

² أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، تح محسن مهدي، بيروت، دار المشرق، ط 2، 1990، ص 162

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

حين يقول: " قوة أحد أنواع القول قوة السؤال عن الشيء" ¹ وهنا يقصد قوة النداء كقوة الاستفهام؛ فالأول يطلب جواباً، والثاني إقبالا، وهذا الأمر يعني طرح المستوى الثالث وهو فعل التأثير عند أوستن، وفي هذا يقول الفارابي: " كل مخاطبة يُقتضي بها شيء ما فلها جواب؛ فجواب النداء إقبال أو إعراض، وجواب التضرع والطلبه بذل أو منع، وجواب الأمر والنهي وما شاكلة طاعة أو معصية، وجواب السؤال عن الشيء إيجاب أو سلبى" ²

– البعد التداولي في مباحث الإنشاء

الإنشاء لغة: الإيجاد والإحداث

واصطلاحاً: هو ما لا يصلح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب .وهو نوعان :

–طلبى: وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، ويكون :-

–الأمر نحو: قول أحمد شوقي:

تخلق الصفح تسعد في الحياة به فالنفس يسعدها خلق ويشقيها

–النهي: كقول الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

–الاستفهام: نحو:

¹نفسه ص163

²أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف ص164.163

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا فداه الورى أمضى السيوف مضاربا

-التمني: نحو:

يا ليت شعري وليت الطير تخبرني ما كان بين علي وابن عفانا

-النداء نحو:

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم

-غير الطلبي: وهو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وله صيغ كثيرة

منها:

-التعجب نحو قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾¹.

-المدح: نحو: قول الشاعر: ألا حبذا عاذري في الهوى ولا حبذا العاذل الجاهل

-الذم نحو: "بس العوض من التوبة الإصرار".

-القسم كقول الشاعر:

لعمرك ما بالعلم يكتسب الغنى ولا باكتساب المال يكتسب العقل

-أفعال الرجاء كقول ذي الرمة:

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفى شجي البلابل

-صيغ العقود: نحو: بعث، واشترت.

¹سورة البقرة 28

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

وفي محاولتنا مقارنة هذه المباحث مع ما تطرحه التداولية وجب علينا إبراز ذلك في كل مبحث منها على حده

أ: الإنشاء الطلبي:

أولاً: الأمر: وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء. وله أربع صيغ:

- فعل الأمر، نحو: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ¹

- المضارع المقرون بلام الأمر، كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ
وَلِيُطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ²

- اسم فعل الأمر، كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ
إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ³ .

- المصدر النائب عن فعل الأمر، كقوله تعالى: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا⁴ .

وإذا كان الاستعلاء ضرورياً تخاطبياً فإنه في بعض الأحيان ينزل ليحقق بعض الغايات التواصلية، وذلك وفق مقتضيات العملية التبليغية، وخصوصاً طبيعة المرسل والمتلقى

¹ سورة البقرة 43

² سورة الحج 29

³ سورة المائدة 105

⁴ سورة الأنعام 151

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

وهو ما عبر عنه سورل **searl** بالشروط المعدة، إذ هذه الشروط هي التي تحدد طبيعته: ومن ذلك:

-الدعاء: ويكون كذلك بقلب قيمة طرفي العملية التخاطبية، فإذا كان المرسل أعلى درجة من المتلقي في الأمر، فإنه في الدعاء يكون العكس، وذلك بخضوع المتكلم ومن أمثلته:

قوله تعالى على لسان سيدنا سليمان عليه السلام: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ ۗ ﴾¹.

وأما إذا استوت رتبة المتخاطبين؛ فإن الاستعلاء ينتفي، وبذلك ينتفي الأمر ليتحول إلى الالتماس، كقول الصديق لصديقه: "أعطني الكتاب".

إذا، يظهر البعد التداولي من خلال طبيعة الأمر انطلاقاً من علاقة المتخاطبين فيما بينهم، وكان لأجل ذلك الأمر والدعاء، والالتماس، وعلى أساس تلك العلاقات يمكن الحكم على تحقق الفعل الإنجازي من عدمه. غير أننا إذا تجاوزنا طبيعة المتخاطبين، إلى طبيعة الخطاب في حد ذاته، أو ما يعبر عنه تداولياً بالمحتوى القضوي (محتوى القضية) فإننا نجد هناك العديد من الأغراض التواصلية، أو ما يعرف تداولياً أفعالاً متضمنة في القول: ومنها

¹سورة النمل 19

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

-الإرشاد: ويكون ذلك في مقام النصح، بغض النظر عن درجات المتخاطبين، وإنما الأصل فيه أن اتباع **المحتوى القضيوي** يؤدي بصاحبه إلى تحقيق اللذة، ومنه: قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ¹.
وقول ابن الوردي:

واهجر الخمرة لا تحفل بها كيف يسعى في جنون من عقل
-التمني، كقول عنترة:

يادار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي
-التخيير: كقول بشار بن برد:

فعض واحدا أو صل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه
-التسوية، كقوله تعالى: ﴿ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ² ﴾ .

-التعجيز، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ فَادْرَءُوا عَنِّي أَنفُسِكُمُ الْمَوْتُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ³ ﴾
-التهديد، كقوله تعالى: ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ⁴ ﴾ .

¹ سورة البقرة 282

² سورة الطور 16

³ سورة آل عمران 168

⁴ سورة فصلت 40

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

-الإهانة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا¹﴾ .

ثانيا: النهي: وهو عكس الأمر إذ هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وله صيغة واحدة، وهي صيغة المضارع مع لا الناهية، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا²﴾ .

وقد يحصل للنهي ما يحصل للأمر، وذلك وفق مستويين

الأول: طبيعة العلاقة بين المتخاطبين.

الثاني: طبيعة المحتوى القضوي.

وباعتبار المستوى الأول يتحول النهي أحد الأمرين:

-الدعاء: ويكون ذلك بقلب قيمة طرفي العملية التخاطبية، فإذا كان المرسل أعلى درجة من المتلقي في النهي، فإن العكس هو الذي يحصل في الدعاء، وذلك بخضوع المتكلم .

ومن أمثله قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا³﴾ .

-الالتماس: ويكون بتساوي القيمة بين طرفي العملية التواصلية كقول الشاعر:

¹سورة الإسراء 50

²سورة الأعراف 56

³سورة البقرة 286

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

لا تحسبوا البعد عني ينسيني مودتكم هيهات هيهات أن تنسى على الزمن
وأما باعتبار المستوى الثاني، فإن طبيعة النهي تحددها **محتوى القضية**: ومن ذلك:
-التمني، نحو: "لا تطلع" في قوله :

يا ليل طل يا نوم زل يا صبح قف لا تطلع

-الإرشاد: كقول الشاعر:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

-التوبيخ: كقول الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

-التحقير: كقول الشاعر:

لا تشتتر العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد

ثالثاً: الاستفهام: وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، ومن أدواته:

- الهمزة: ويطلب بها أحد أمرين:

-التصور وهو إدراك المفرد، وفي هذه الحال تأتي الهمزة متلوة بالمسئول عنه
ويذكر له في الغالب معادل بعد "أم"، نحو: "أأنت المسافر أم أخوك؟".

-التصديق وهو إدراك النسبة، وفي هذه الحال يمتنع ذكر المعادل، نحو: "أيصداً

الذهب؟".

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

- "هل" ويطلب بها التصديق ليس غير، ويمتنع معها ذكر المعادل، نحو: "هل جاءك صديقك؟".

- "من" ويطلب بها تعيين العقلاء، نحو: "من أول من أسلم من الرجال؟".

- "ما": ويطلب بها شرح الاسم أو حقيقة المسمى، كقوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم "مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ"¹

- "متى": ويطلب بها تعيين الزمان ماضيا كان أو مستقبلا كقوله تعالى: " وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَخْبِتَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصُرَ اللَّهُ "²

- "أيان": ويطلب بها تعيين الزمان المستقبل خاصة، وتكون في موضع التهويل، كقوله تعالى: " يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا "³.

- "كيف": ويطلب بها تعيين الحال، نحو: "كيف جئت؟"

- "أين": ويطلب بها تعيين المكان، نحو: "أين تذهب؟".

- "أنى": وتأتي لمعان

- بمعنى "كيف"، نحو قوله تعالى: " أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا "⁴.

¹ سورة الأنبياء 52

² سورة البقرة 214

³ سورة الأعراف 187

⁴ سورة البقرة 259

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

-بمعنى "من"، نحو قوله تعالى على لسان زكرياء مخاطبا مريم عليهما السلام "أَنْتِي لَكَ هَذَا"¹.

-بمعنى "متى" نحو: "أنى يحضر الغائبون؟".

- "كم": ويطلب بها تعيين العدد نحو قوله تعالى: "كَمْ لَبِئْتُمْ"².

- "أى": ويطلب بها تمييز أحد المتشاركين في أمر يعمهما، نحو قوله تعالى: "أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا"³ ويسأل بها عن الزمان والمكان والحال والعدد والعاقل وغير العاقل على حسب ما تضاف إليه.

والواضح أن جميع الأدوات المتقدمة يطلب بها التصور، ولذلك يكون الجواب معها بتعيين المسئول عنه. عدا "هل" التي يطلب بها التصديق ليس غير.

والفرق بين التصور والتصديق تداوليا هو: " أنه في" التصور "يكون المتكلم فيه خالي الذهن من أي فكرة حول المستفهم عنه، أما في" التصديق "فيجب أن يكون لدى المتكلم فكرة مسبقة عن الموضوع المستفهم عنه، و يندرج ذلك ضمن ما

أسماء سيرل معيار: الشروط المعدة **préparatoire condition**⁴

¹آل عمران 37

²سورة الكهف 19

³سورة مريم 73

⁴مسعود صحراوي، التداولية عند العرب، ص11

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

وقد يحدث الاستفهام **مضمورات قول** تخرج عن الطبيعة الأصلية له المحددة سلفاً، ولا يمكن تحديدها إلا بتحديد طبيعة المقامات التواصلية، ومنها:

-النفى، كقول البحترى:

هل الدهر إلا غمرة وانجلاؤها وشيكا، وإلا ضيقة وانفراجها

-الإنكار، كقول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

-التقرير، كقول الشاعر:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

-التوبيخ، كقول الشاعر:

إلام الخلف بينكم إلاما وهذه الضجة الكبرى علاما

-التعظيم، كقول الشاعر:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

-التحقير، كقول الشاعر:

فدع الوعيد فما الوعيد بضائري أطنين أجنحة الذباب يظير

-الاستبطاء، كقول الشاعر:

حتى متى أنت في لهو وفي لعب والموت نحوك يفتح فاه

-التعجب، كقول المتنبي:

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

وكيف تعلق الدنيا بشيء وأنت لعة الدنيا طيب

فكل هذه تعد مضمرة قول تحدد بالسياق التخاطبي، كما نجزم أنه لا يمكننا أن

نحصرها جميعا، ولهذا اقتصرنا على ما ظهر منا، وبدا في غالب الأحيان

رابعا: التمني: وهو طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله لأحد سببين:

الأول: لكونه مستحيلا، كقول الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يوما فأخبره بما فعل المشيب

الثاني: لكونه ممكنا غير مطموح في نيله، كقوله تعالى: (يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ

قَارُونَ إِنَّهُ لَدُو حَظٌّ عَظِيمٌ ¹)

وأدواته هي:

"ليت". وهي أصل التمني وهناك أدوات أخرى وهي:

"هل" مثل: قوله تعالى: " فَهَلْ لَنَا مِنْ شُعَاءٍ فَيَشْفَعُوا لَنَا " ².

وقال الشاعر:

أسرب القطا هل من يعير جناحه علي إلى من قد هويت أظير

"لو" قال تعالى: " فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ " ³.

¹سورة القصص 79

²سورة الأعراف 53

³سورة الشعراء 102

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

إذا كان الأمر المحبوب مما يرجى حصوله كان طلبه ترجياً ويعبر فيه بـ "لعل" أو "عسى" كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَّ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾².
كما قد تستعمل "ليت" لغرض إبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة في بعد نيته، كقول الشاعر:

فيا ليت ما بيني وبين أحبتي من البعد ما بيني وبين المصائب

خامساً: النداء: وهو طلب إقبال المدعو على الداعي بحروف مخصوصة ينوب كل منها مناب الفعل أدعو

وأدواته هي: (يا) و (الهمزة) و (أي) و (آ) و (أي) و (أيا) و (هيا) و (وا).

وهو قسمان

-نداء القريب وأدواته: الهمزة وأي.

-نداء البعيد: وأدواته ما بقي من أدوات النداء

وقد ينزل البعيد منزلة القريب فينادى بالهمزة وأي، إشارة إلى قرينه من القلب، وحضوره في الذهن

وقد ينزل القريب منزلة البعيد فينادى بغير الهمزة وأي إشارة إلى:

¹سورة الطلاق 1

²سورة المائدة52

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

علو مرتبته، نحو: "أيا مولاي" وأنت معه.

أو انحطاط منزلته، نحو: "أيا هذا" لمن هو معك".

أو غفلته وشروء ذهنه، كقولك للساهي: "أيا هذا".

ويخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معان أخرى تستفاد من القرائن مثل:

الزجر: كقول الشاعر:

يا قلب ويحك ما سمعت لناصح لما ارتميت ولا اتقيت ملاما

والتحسر: كقول الشاعر:

أيا قبر معن كيف وارتيت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا

-غير الطلبي :

وهو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وله صيغ كثيرة منها:

الترجي: وهو "ترقب حصول الشيء سواء كان محبوباً، ويقال له: طمع...أو

مكروها...ويقال له: إشفاق"¹ ولم يعدوا الترجي من الإنشاء الطلبي، مع أنهم جعلوا

التمني منه، لأن التمني طلب الشيء، و الترجي ترقب حصول الشيء .

¹الدسوقي، ضمن شروح التلخيص ، ج2، ص245

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ولهذا؛ فالفرق الجوهرى بين "التمنى" و"الترجى"؛ هو أن "التمنى" لا يطمع في حصوله وإمكانه، والفرق الآخر هو أن "التمنى" يكون في الأمر المحبوب فقط، وأن "الترجى" يكون في المحبوب والمكروه معا¹

ولو حاولنا اعتماد معايير سورل للتفريق بينهما لوجدنا الآتى:

أ- باعتبار المحتوى القضوي: في التمنى محتوى القضية مستحيل، والمتكلم يعتقد ذلك

أما في الترجى فمحتوى القضية ممكن مع اعتقاد المتكلم بإمكانية تحقيقه.

ب- باعتبار شرط الفصاحة: محتوى القضية في التمنى محبوب دائما، على خلاف الترجى فقد يحتمل أن يكون مكروها أو محبوبا.

-التعجب: انفعال يحدث في النفس عما خفي سببه² نحو قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَانًا فَأَحْيَاكُمْ﴾³. ويشترط فيه أن يكون معرفة أو نكرة مخصصة" فنقول مثلا: ما أحسن زيدا و رجلا معه ! و لولا قولك": معه "لم يكن

¹ نفسه ص 241

² الشريف الجرجاني، التعريفات، ص 62 :

³ سورة البقرة 28

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

للكلام معنى، وذلك أنك إذا قلت: ما أحسن رجلا! بالتنوين، فليس هذا مما يفيد به السامع شيء، لأنه لا يستنكر أن يكون في الناس من هو كذا الكثير¹ إن اشتراط التعريف أو النكرة المخصوصة هو من أجل تحقيق الإفادة وهو بعد ذو

صبغة تداولية

-المدح: نحو: قول الشاعر:

ألا حبذا عاذري في الهوى ولا حبذا العاذل الجاهل

-الذم نحو: "بئس العوض من التوبة الإصرار".

-القسم كقول الشاعر:

لعمرك ما بالعلم يكتسب الغنى ولا باكتساب المال يكتسب العقل

-أفعال الرجاء كقول ذي الرمة:

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفى شجي البلابل

-صيغ العقود: نحو: بعت، واشتريت

البعد التداولي في مقتضيات الإسناد الخبري

أ- من خلال التعريف:

¹المبرد: أبو العباس، المقتضب، تح: عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، د ت ص 186

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

يعرف الإسناد بأنه هو ضم كلمة أو ما يجري مجراها إلى أخرى، بحيث يفيد الحكم بأن مفهوم إحداها ثابت أو منفي للأخرى، نحو يفيد هذا الضم بمعنى يحسن السكوت عليه. والذي يجري مجرى الكلمة هي المركبات الناقصة كالإضافة والوصف مثل: غلام زيد والتقدير هذا غلام زيد أو قولنا رجل شجاع، والتقدير رجل شجاع ومن هذا التعريف يتبين أن الأصل في أي تركيب يقتضي الإفادة، وإذا لم يكن ذلك زال عنه الكلام، ودخل في درجة الهذيان، فما معنى أن تسند شيئاً لآخر دون أن تعمل شيئاً فيه، والإفادة هي الأساس في أي حدث تواصلية، وهي العمدة في البحث التداولي، بها يكون الاتصال ويحدث الانفعال.

من خلال الأغراض والأضرب

ب- من خلال الأغراض¹

-الأصل في الخبر أن يلقي لأحد غرضين:

أ- إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة، ويسمى ذلك الحكم (فائدة الخبر).

مثل: انتصر المسلمون في غزوة بدر.

ب- إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم ويسمى ذلك (لازم الفائدة)

¹ ينظر: القزويني، الإيضاح ص 27

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

مثل: "أنت تسهر كل يوم".

ومن خلال الغرضين، قد يبدو للمتلقي اختلافهما جذريا، ولهذا ذكر كل قسم بمسمى خاص به، والحقيقة غير ذلك؛ ففي كلا الأمرين إخبار وفائدة، فأما في الأول فهو لا يعرف الخبر مطلقا، وأما في الثانية فهو لا يعرف مترتبات ذلك الخبر، أو ما سينجر عنه مطلقا أيضا.

وتداوليا؛ نجد حدوث أمرين: الأول الإفادة وهو أمر جلي في كلا الحالتين الثاني: ردة الفعل، أو فعل التأثير كما يسميه أوستن في كليهما: ففي الأول انشراح وانبساط للمسلم، وفي الثاني ترقب لما سينجر عن علم المتكلم بسكوت المخاطب

وأما من خلال أغراض الخبر الفرعية فيمكننا أن نجد مايلي:

قد ينحو الخبر مناحي تحدها المقامات الكلامية، وتبرزها السياقات المقالية،

ومن ذلك

-الاسترحام: كقوله تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ¹ ﴾ فالله سبحانه وتعالى

¹سورة القصص 25

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

عالم بحاله، ولكنه يريد استرحامه ليفرح كربه ويعد عنه همه، وهم ما حصل فعلا بعمله عند سيدنا شعيب بل وتزويجه

- إظهار الضعف: كقوله تعالى على لسان سيدنا زكرياء عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا¹ ﴾ وهنا أيضا ربنا يعلم حاله، لكنه دعاء ألبس لباس الإخبار، وكان رد الله عليه بأن ألهمه الولد

- إظهار التحسر: كقوله تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ² ﴾ وكان رد الله عليه بان نجاه
- الفخر: كقول الشاعر:

إذا بلغ الفطام لنا صبي تخر له الجبابر ساجديننا

-الحث على السعي والجد: كقول الشاعر:

وليس أخو الحاجات من بات نائما ولكن أخوها من يبيت على وجل

ج- من خلال أضرب الخبر:

للمخاطب ثلاث حالات:³

- أن يكون خالي الذهن من الحكم.

¹سورة مريم4

²سورة الشعراء117

³ينظر: القزويني، الإيضاح ص28، السكاكي، مفتاح العلوم ص170 - 121

في تداوليات الخطاب - دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

- أن يكون مترددا في الحكم .

- أن يكون منكرا له .

وهي ثلاث حالات لا يمكن لأي متلقى أن يخرج عنها، ولهذا تم تثبيت كل حالة والتقنين لها بما يتوافق ونجاح العملية الاتصالية، وكان ذلك عن طريق أدوات التوكيد؛ إذ هي الكفيلة بتحقيق درجة الخبر في نفس المتلقي، ولهذا سمي الضرب الأول ابتدائيا، ويلقى الخبر فيه خاليا من أدوات التوكيد، مثل: "أخوك قادم".
وأما الحالة الثانية فيحسن توكيده له ليتمكن من نفسه، ويسمى طلبيا. مثل: "إن أخاك قادم".

وأما الأخير فيجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب إنكاره قوة وضعفا، ويسمى هذا الضرب إنكاريا. مثل: "والله إن أخاك لقادم".
ومن خلال الضروب الثلاثة للخبر نجد أنها تتوافق وما تطرحه التداولية الحديثة؛ فهي شروط تسهم في إنجاز العملية التخاطبية

البعد التداولي في مقتضيات الذكر والحذف

لقد كان ذكر المسند أو المسند إليه وحذفهما من أهم الأبواب التي عالجهما الدارسون العرب القدامى، فهما ركنا الجملة ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما إلا بضوابط كان لعلماء النحو والبلاغة الحظ الوافر في ذلك.

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ونحن في دراستنا هذه سنحاول أن نربط هذا المبحث وفق ما يتوافق ونجاح العملية التواصلية، أو بعبارة أخرى بما تطرحه مبادئ النظريات التداولية الحديثة فسيبويه يذكره في مواطن كثيرة في تبريراته اللغوية وشرحه لبعض القواعد النحوية، ومن الشروط التي يضعها حتى يكون الحذف مقبولا، علم المخاطب بالمحذوف، وفي هذا يقول: "ومما يقوي ترك نحو هذا لعلم المخاطب، قوله عزو جل: " وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَعْفَرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ¹ فلم يعمل الآخر فيها ما عمل فيه الأول استغناء عنه ومثل ذلك ونخلع وترك من يفجرك ² فيصبح الأمر هنا من متضمنات القول

كما كانت السعة والاختصار من أهم تبريراته أيضا، وذلك في قوله في باب "استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام، والإيجاز والاختصارات"، "فمن ذلك أن تقول: على قول السائل: كم صيد عليه؟ وكم غير ظرف، لما ذكرت ذلك من الاتساع والإيجاز فتقول: صيد عليه يومان، وإنما المعنى صيد عليه الوحش في يومين،

¹ سورة الأحزاب 35

² سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج1 ص74

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ولكنه اتسع واختصر¹ وهنا جاء الحذف لعلم المخاطب بمقصود المتكلم، ولو انتفى الثاني لانتفى الأول حتما.

كما عرض الفراء لأغلب ما تناوله سيبويه في الحذف، فذكر حذف الكلمة والفعل والجملة، فيقول معلقا على قوله تعالى: **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**² "يقال: "أما " لا بد لها من الفاء جوابا فأين هي؟ فيقال إنها كانت **مع قول مضمرة**، فلما سقط القول، سقطت الفاء معه، والمعنى والله أعلم: فأما الذين اسودت وجوههم فيقال: أكفرتهم فسقطت الفاء مع فيقال والقول قد يضمرونه في كتاب الله شيء كثير من ذلك قوله تعالى " **وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ**"^{3، 4}

إن تصريح الفراء وتبريره للحذف بقوله: إنه مضمرة هو تصريح كون البلاغة العربية قد أرسيت دعائم التخاطب وقواعده لإنجاح العملية التواصلية لتتجاوز بذلك أغلب المباحث التي يطرحها الدرس اللغوي الحديث

¹ سيبويه، الكتاب ج 1 ص 212

² سورة آل عمران 106

³ سورة السجدة 12

⁴ الفراء، معاني القرآن ج 1 ص 228.229

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

كما تناول ابن جنّي الحذف في شجاعة العربية، ذاكراً أنه يكون في الحركة والمفرد والجملة، مشترطاً وجود ما يدل على المحذوف، ولهذا عرض لحذف المبتدأ والخبر والمضاف والمضاف إليه فيقول: قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة وليس شيء من ذلك إلا على دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب تكلف علم الغيب في معرفته¹

لقد اشترط ابن جنّي وجود ما يدل على المحذوف حتى يستقيم المعنى ويصح الكلام، والحقيقة أن الدليل قد يكون مقامياً من خلال حالات التخاطب المختلفة، أو سياقياً من خلال ما يثبت بين ثنايا الكلمات أو ما تحت السطور كما مثل لكل نوع، وبين مواضع الحذف، غير أنه اكتشف عذوبة في حذف المفعول به قد لا تكون له بذكره، كقوله "قرأ عكرمة: المزمّل و"المدثر" خفيفة الزاي والبدال مشددة الميم والثاء، هذا على حذف المفعول يريد بأيها المزمّل نفسه، المدثر نفسه، فحذفه فيهما جميعاً، وحذف المفعول كثير وفصيح وعذب لا يركبه إلا من قوي طبعه، وعذب وضعه"²

¹ ابن جنّي، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر بيروت. ج2 ص360

² ابن جنّي، المحتسب، تحقيق علي ناصف عبد الفتاح شلبي، القاهرة، 1414. ج2 ص355

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

فهو بهذا يتجاوز إنجاح العملية التواصلية ليرتقي بها حد التأثير في المتلقي من خلال ما حذف من ملفوظ هو للمتلقي معروف من خلال السياق التخاطبي

ويقول في موضع آخر: "ومن ذلك ما رواه أبو الرحمان السلمي عن علي بن أبي طالب عليه السلام" وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَتَّبْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا"¹ بفتح الياء قال ابن مجاهد: ولا يقرأ بها، قال أبو الفتوح: هذا الذي أنكره ابن مجاهد عندي مستقيم جائز، وذلك أنه على حذف المفعول، أي الذين يتوفون أيامهم أو أعمارهم أو آجالهم كما قال سبحانه " فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"²، "الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ"³ وحذف المفعول كثير في القرآن وفصيح الكلام، وذلك إذا كان هنالك دليل عليه، قال الله تعالى "وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ"⁴،⁵

ولهذا ردد ابن جني حذف المفعول كثيرا وجعله دليلا على غزارة العربية وفي هذا يقول: "ومن ذلك قرأ: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ

¹سورة البقرة134

²سورة المائدة117

³سورة النحل28

⁴سورة النمل23

⁵ابن جني،المحتسب ج 1 ص125

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

وَأَلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ¹ بفتح أوائل هذه الحروف وضم التاء: المفعول هنا محذوف لدلالة المعنى عليه أي كيف خلقتها ورفعها ونصبها وسطحتها، وقد تقدم القول على حسن حذف المفعول به، وإن ذلك أقوى دليل على قوة عربية الناطق به²

كما أن الرماني قد أولى الحذف اهتماما كبيرا، بأن عرض للحالات التخاطبية التي يفضل فيها ذلك الحذف، مذكرا أن النفس تذهب فيه كل مذهب، فتترك العنان لخيالها ليتبين طبيعة المحذوف، وسر حذفه، فيقول معلقا على قوله تعالى: " وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ"³ يقول " كأنه قيل: حصلوا على النعيم المقيم الذي لا يشوبه التنغيص والتكدير، وإنما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان، فحذف الجواب في قولك: لو رأيت عليا بين الصفين، أبلغ من الذكر لما بيناه⁴

¹سورة الغاشية 17-20

²ابن جني، المحتسب ج2ص356

³سورة الزمر 73

⁴الرماني: أبو الحسن علي بن عيسى: النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصرط3، 1974. 77.76.

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

فذهاب النفس فيها كل مذهب؛ ذلك أن الجنة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فلا يمكن إطلاقاً أن يتحد تصور حول نعيمها.

ولم يشذ عبد القاهر عن من سبقوه، فأقر ما ادعوه وأثبت ما قالوه، بل وأضاف إليه، فهو يقول في باب الحذف: "هو باب دقيق المسلك، لطيف الأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين"¹، وهذا تكرار واضح لما قاله الرماني، ولكنه تجاوز من سبقوه بالتفصيل والتقسيم ومن ذلك

1-2 مواضع حذف المفعول به: قبل أن يتطرق عبد القاهر للمواضع التي يحذف فيها حذف المفعول به، يذكر مسلمة لغوية تتعلق بحال الفعل مع المفعول، ومفادها: أنك إذا قلت: ضرب زيد، فأنت تريد إثبات الضرب لزيد، أما إذا قلت: ضرب زيد عمروا، فأنت تريد إثبات وقوع الضرب على عمر، وإذا تبين هذا الأمر، وجدت أن أساس المفارقة وعماد المفاضلة يكمن في ذلك وهو كالاتي:

إذا كان الغرض إثبات الفعل في حد ذاته، بغض النظر عن الذي وقع عليه الفعل، فإن في هذه الحال يحذف المفعول به، ومثاله: "فلان يحل ويعقد، ويأمر وينهي

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر، ط3 (1413، 1992)، ص146

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

"وقولهم" هو يعطي ويجزل" فالغرض في هذا كله إثبات صفات الحل والعقد، والأمر والنهي، والإعطاء دون تحديد لنوعها، إذ لو أتبعنا هذه الأفعال بمفاعيلها لتحدت المعاني ولاقتصر المدح، ومنه ورد قوله تعالى "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَدِينُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ"¹ فالمطلوب هو العلم دون تحديد نوعه.

فتبرير الجرجاني نابع من **الضرورات التخاطبية** التي ينوي المتكلم إبلاغها، ولهذا وبغية تركيزه على شيء فإنه يقوم بحذف الآخر إذ لا فائدة ترجى من العلم به.

كما أنه ينبغي على أي حذف مهما كان نوعه أن يشتمل على الأقل على أمرين:

الأول: مقصدية المتكلم *l'intentionalite*

الثاني: الكفاءة التداولية *la compétence pragmatique*: ومعناه قدرة المخاطب على فهم وإدراك مواطن الحذف انطلاقاً من معطيات السياق اللغوي وملابسات المقام" ما يرشد إليه سياق الكلام أو دلالة الحال"² وهو ما أفاض فيه الدرس البلاغي العربي القديم

¹سورة الزمر 9

²محمد حسنين أبو موسى، دلالات التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم العاني، منشورات جامعة قارنوس، ط1، مصر 1979، ص123

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

يذكرنا الإيجاز بنوعيه الحذف والقصر بقواعد المحادثة les règle de conversation لغرايس وبالأخص قاعدة الكيف maxime de maniere التي توجي بالإيجاز في الكلام وعدم التوجه به نحو التطويل والإسهاب غير المرغوب فيه¹

البعد التداولي في مقتضيات التعريف والتنكير

تعريف المسند إليه وتنكيره

تعريف المسند إليه: المسند إليه وهو المحكوم عليه أو المخبر عنه، وينبغي أن يكون المسند إليه معرفة؛ كونه هو المحكوم عليه؛ ولهذا وجب أن يكون معلوما كي يأتي الحكم مفيدا. ويبلغ الخبر ويحدث الاتصال وينجح التبليغ ويستقيم الإبلاغ وطرق التعريف هي: الإضمار، العلمية، الإشارة، الموصولة، أل التعريف، الإضافة، والنداء

1- تعريف المسند إليه بالإضمار: ويكون في المقامات الآتية:

-مقام التكلم أو الحكاية، حيث تنعدم الإفادة إلا إذا حدد الضمير المقصود في العملية التواصلية كقوله (ص): أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

¹ ينظر: جاك موشلار، بن روبول، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: يسف الدين دعقوس، محمد اشيباني ص270

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

-مقام الخطاب: وذلك عندما يكون المخاطب ماثلاً أمام المتكلم، حيث لا يمكن أن تشير إلى شخص وأنت تقصد آخر؛ فإذا حدث ذلك انقطع الاتصال وفقدت الفائدة. كقول الشاعر:

أنت الذي تُنزلُ الأيَّامَ منزلِها وتمسكُ الأرضَ عن خسفٍ وزلزال

-مقام العينية: وذلك عندما يكون المسند إليه في ذهن المتلقي لتقدم ما يدل عليه؛

إما لفظاً: كقوله تعالى: **وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**¹

أو معنى: كقوله تعالى: **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**²

2-تعريف المسند إليه بالعلمية: ويؤتى به علماً لإحضار معناه في ذهن المتلقي باسمه

الخاص ليختلف عما عداه، كقوله تعالى: **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ**

وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ³

وقد يكون موافقاً للأغراض التبليغية الآتية:

-المدح والتعظيم كقولنا: جاء صلاح الدين

-التحقير والإهانة كقولنا: ذهب تأبط شرا

¹سورة يونس 109

²سورة المائدة 8

³سورة البقرة 127

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

-التفاؤل به كقولنا: سلام قادم

-التشاؤم به كقولنا: جاء حرب

-التبرك به كقولنا: الله أكرمني في جواب من سأل: من أكرمك؟

وكل هذه الأمور لا يمكن لأي منها أن يحل محل الآخر، وهي من الأمور التي

تطرحها تداولية الخطاب الحديثة

3- تعريف المسند إليه بالإشارة: يؤتى بالمسند إليه اسم إشارة إذا تعين طريقا

لإحضار المشار إليه في ذهن المتلقي، بأن يكون حاضرا محسوسا، ولا يعرف

المتكلم اسمه الخاص، ولا معيننا آخر. كقولك: أتبيع لي هذا؟ مشيرا إلى شيء لا

تعرف له اسما ولا صفة. أما إذا لم يكن طريقا لذلك فيكون لأغراض منها:

أ- كمال تمييزه وتعيينه: ويكون هذا في موضعين

-مقام المدح: كقول الفرزدق في زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن

أبي طالب (ض) عندما ادعى هشام بن عبد الملك أنه لا يعرفه:

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَأْتَهُ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِجْلُ وَالْحَرَمُ

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ هَذَا التَّقِيُّ التَّقِيَّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ

هَذَا ابْنُ فَاطِمَةٍ، إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ حُتِّمُوا

-لاختصاص المسند إليه بحكم بديع، كقول الشاعر:

هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصبر العالم التحرير زنديقا

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ب- بيان حاله في القرب والبعد تعظيما أو تحقيرا

فمثال تعظيم درجته بالقرب قوله تعالى: **وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ**¹

فمثال تعظيم درجته بالبعد قوله تعالى: **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**²

ومثال تحقيره بالقرب كقوله تعالى: **هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ**³

ومثال تحقيره بالبعد قوله تعالى: **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ**

الْيَتِيمَ⁴

ج- التعريض بغباوة المتلقي كقول الفرزدق:

أَوْلَمَكَ آبَائِي، فَجِئَنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعِ.

وهذه الاغراض كلها تنبئ عن غايات تواصلية تتحقق جميعها بواسطة الإشارة،

والحكم فيها القصد وهو أساس التداولية الحديثة

4- تعريف المسند إليه بالموصولية: ويؤتى به لأمرين:

الأول: كون المتكلم لا يعرف اسمه.

الثاني: كونه الطريق الوحيد لإحضار معناه.

¹ سورة الأنعام 19

² سورة البقرة 2

³ سورة الأنبياء 3

⁴ سورة الماعون 1، 2

في تداوليات الخطاب - دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

وما عدا هذا فيكون لأغراض كثيرة منها:

أ-التشويق: كقول أبي العلاء المعري :

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

ب-إخفاء الأمر عن المتلقي كقول الشاعر:

وأخذت ما جاء الأمر به وقصدت حاجتي كما أهوي

ج- التعظيم: كقول الشاعر:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا، دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ.

د-التهويل: كقوله تعالى: فَأَتَّبَعُهُمْ فِرْعَوْنُ فِرْعَوْنٌ بِجُنُودِهِ فَعَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ¹

5-تعريف المسند إليه ب"أل": وهي نوعان: العهدية والجنسية

أ-أل العهدية: وتلحق بالمسند إليه لكونه معهودا، وهو ثلاثة أنواع:

-العهد الصريح ويكون بتقديم ذكر المسند إليه تصريحاً، كقوله تعالى " كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى

فِرْعَوْنَ رَسُولًا (15) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً²

-العهد الكناي: ويكون بتقديم ذكر المسند إليه تلميحاً، كقوله تعالى: فَلَمَّا وَضَعَتْهَا

قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ³ فالذكر

¹سورة طه 78

²سورة المزمل 15، 16

³سورة آل عمران 36

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

وإن لم يكن مسبوقا صريحا إلا أنه أشار إليه " ما " في الآية التي قبلها " رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ¹

-العهد الحضوري: ويكون بحضوره بذاته كقوله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ² " أو بمعرفة المتلقي له نحو: هل انعقد المجلس؟

ب-"أل"الجنسية: وتسمى لام الحقيقة، تدخل على المسند إليه لأغراض أربعة:

-للإشارة إلى الحقيقة مطلقا، مثل: الإنسان حيوان ناطق. وتسمى لام الجنس.

-للإشارة إلى الحقيقة ضمن فرد مبهم إذا قامت القرينة على ذل . كقوله تعالى على

لسان سيدنا يعقوب عليه السلام: "وَأَخَافُ أَنَّ يَأْكُلَهُ الدِّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ³،

ومدخلوها في المعنى كالنكرة فيعامل معاملتها ويسمى لام العهد الذهني

-للإشارة إلى كل الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب اللغة كقوله تعالى: عَالِمِ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ⁴ " ويسمى استغراقا حقيقيا

- للإشارة إلى كل الأفراد مقيدا نحو: جمع الأمير التجار وألقى عليهم نصائحه؛

فالمقصود تجار مملكته لا تجار العالم ويسمى استغراقا عرفيا

¹سورة آل عمران 35

²سورة المائدة 3

³سورة يوسف 13

⁴سورة الرعد 9

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

6- التعريف بالإضافة: ويكون لأغراض منها

- كونها أخصر طريق لإحضاره في ذهن المتلقي، نحو: جاء غلامي، فهو أخصر من

قولنا: جاء الغلام الذي لي

- تعذر التعدد وتعسره، كقولنا: أجمع الخبراء

- التعظيم، كقوله تعالى: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنْ

الْعَاوِينَ¹

- التحقير: كقولنا: أخو اللص قادم

- تعذر التفصيل، كقوله تعالى: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ

وَأَلَدَّخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ²

- التعبير عن السخرية، كقوله تعالى حكاية لقول فرعون لأتباع موسى عليه السلام

قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ³

7- تعريف المسند إليه بالنداء: ومن أغراضه

- إذا لم يعرف للمخاطب عنوان خاص، كقولك: يا رجل

- الإشارة إلى علة ما يطلب منه كقولنا: يا تلميذا اكتب الدرس

¹سورة الحجر 42

²سورة المائدة 65

³سورة الشعراء 27

تنكير المسند إليه:

يؤتى بالمسند إليه نكرة لعدم علم المتكلم بجهة من جهات التعريف حقيقة أو ادعاء،
كقولنا: جاء رجل يسأل عنك. وقد يكون لأغراض أخرى منها:

- الدلالة على فرد غير معين كقوله تعالى: وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى¹
- تعظيم المسند إليه، كقوله تعالى: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ²

- تحقير المسند إليه: كقول حسان بن ثابت:

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ غَابَ عَنْهُمْ نَبِيَّهُمْ وَفُتِّسَ مَنْ يَسْرِي إِلَيْهِمْ وَيَعْتَدِي

- إخفاؤه عن المخاطب خوفاً عليه، مثل: قال لي شخص إنك اتهمتنني.

- تكثير المسند إليه كقوله تعالى: وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ³

- تقليل المسند إليه كقوله تعالى: يَقُولُونَ لَوْ كَانَتْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا⁴

¹ سورة القصص 20

² سورة البقرة 179

³ سورة فاطر 4

⁴ سورة آل عمران 154

البعد التداولي في مقتضيات التقديم والتأخير

يظهر التقديم والتأخير كآلية من آليات المتكلم في الخطاب يلجأ إليها أثناء إنجاز الفعل الكلامي وفق مقتضيات الاستلزام الحواري بين طرفي العملية التخاطبية، هذا الاستلزام الذي تتجلى اختلافاته بين القدرة والأداء بالمفهوم التشومسكي، ومدى قدرة وقابلية المتكلم في شحن ملفوظاته بطاقات دلالية مستلزمة في القول تمكن المخاطب من إلقاء القبض عليها والاستفادة منها وذلك بتأويلها وما يتوافق ومستلزمات الحوار.

وقد قال عبد القاهر الجرجاني عن هذا المبحث ما مفاده: هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية. لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة. ولا تزال ترى شعرا يروك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عنمكان إلى مكان¹ وإن أساس التقديم راجع إلى القصد وهو ما عبر عنه عبد القاهر الجرجاني بالنية حيث يقول: "واعلم أن تقديم الشيء على وجهين: تقديم يقال إنه على نية التأخير، وذلك في كل شيء أقرته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه كخبير المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك: "

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 106

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

منطلق زيد " و " ضرب عمرا زيد ". معلوم أن " منطلق " " وعمرا " لم يخرجوا بالتقديم عما كانا عليه، من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعا بذلك، وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من أجله. كما يكون إذا أخرت"¹. "وبذلك لم يخرج عبد القاهر في بيان هذا الوجه من التقديم عما ذكره الخليل وإن لم يورد لاسم الخليل ذكرا"²

"وتقديم لا على نية التأخير، ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له بابا غير بابيه، وإعرابا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له، فتقدم تارة هذا على ذلك، وأخرى ذلك على هذا. ومثاله ما تصنعه يزيد والمنطلق، حيث تقول مرة: زيد المنطلق. وأخرى: المنطلق زيد. فأنت في هذا لم تقدم المنطلق على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، فيكون خبر مبتدأ كما كان بل على أن تنقله عن كونه خبرا إلى كونه مبتدأ. وكذلك لم تؤخر زيدا على أن يكون مبتدأ كما كان، بل على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبرا"³.

¹عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص106

²عبد القادر حسين، أثر النحاة ص 60

³عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص107

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

إن أساس إلقاء الخبر عند الجرجاني مبني على المقاصد التي ينوي المتكلم إبلاغها، ومراعي المقامات التواصلية؛ والضرورات التخاطبية التي يضعها نصب عينية لتكون هي الأساس الذي يتلقاه المخاطب.

وكل هذا ينبغي أن يكون وفق مستويين: الأول سطحي وهو ضرورة الالتزام بالقواعد اللغوية وعدم الإخلال بأي واحدة منها. والثاني: وهو الجانب المعنوي المحمول عن طريق الملفوظات التخاطبية، وهو "دلالة المعنى الظاهر على معنى آخر على سبيل الاستدلال"¹

وعلى كل؛ فعلى المتكلم أن يراعي مبدأ التعاون خصوصا إذا انتهك قاعدة الكيف، وذلك بربط كل ما يعدل عنه وفق مقتضيات السياق التخاطبي، ومن هنا يمكننا أن نجمل أهم المقامات التخاطبية التي يكون فيها العدول عن الأصل ضروريا لإنجاز أفعال تخاطبية ناجحة، ومن ذلك:

1- تقديم المفعول به: الأصل في ترتيب الجملة العربية هو فعل وفاعل ومفعول به، فالمفعول به رتبته التأخير، وقد تفرض بعض المقامات التخاطبية تقديمه. ومثاله: قتل الخارجي زيد، ففي هذا المثال أمران: الأول عدول عن القاعدة النحوية في كون المفعول به يتأخر، والثاني في احترام مبدأ التعاون وهو ربط العدول بالقصد والسياق

¹ عبد الهادي بن ظفر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004ص201

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

"فالبلاغي يحرص على كشف الإرادة الاستعملية للتركيب المنجز، وهذه الإرادة شيء زائد عن التركيب لأنها مرتبطة بسياق الحال وموافقة لمقتضاه، فالقصد ليس مسلطاً على التركيب في حد ذاته فحسب، وإنما في خواصه"¹، وفي المثال الذي ذكرنا لا يبحث المتلقي إلا على مصير المفعول به فلا يهتم أمر الفاعل مطلقاً، ولهذا يقول "قتل الخارجي زيدٌ. ولا يقول: قتل زيدُ الخارجي. لأنه يعلم أن ليس للناس في أن يعلموا أن القاتل له زيد جدوى وفائدة. فيعينهم ذكره ويهمهم ويتصل بمسرتهم ويعلم من حالهم أن الذي هم متوقعون له ومتطلعون إليه متى يكون، وقوع القتل بالخارجي المفسد، وأنهم قد كفوا شره وتخلصوا منه."² وهكذا ينبغي النظر إلى المنجز القولِي

في صورته التفاعلية مع المقامات التخاطبية

التقديم والتأخير مع همزة الاستفهام: وهذا الأمر ينبغي أن يراعى فيه مبدأ التعاون والقصد مثل سابقه، حتى وإن شكل هو نفسه عدولاً عن قاعدة الكيف، حتى يؤدي المنجز القولِي وظيفته الاتصالية ويتحقق مع التواصل والإنجاز، وأساس هذا الأمر:

1 الاستفهام بالهمزة: فإذا كانت الهمزة للاستفهام عموماً، وبها يستفسر عن قضية تخاطبية ما، فقد اعتبر سيبويه "أن المسئول عنه يجوز أن يتقدم في الكلام وأن يتأخر،

¹ عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية-بنية الجملة العربية- دار الحامد للنشر والتوزيع،

2004 ص129

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص108

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

غير أنه يفضلُه مقدما، لأنه المقصود من الاستفهام¹، غير أن عبد القاهر الجرجاني يلتقط من سيبويه هذا المعنى² ويعمل فيه ذوقه وحسه، ليرى أن المسئول عنه مقدم لا محالة سواء كان اسما أم فعلا حتى تنجح العملية التخاطبية ويتم الإنجاز وتفصيل ذلك كالآتي: فإذا بدأت بالفعل كان الشك فيه مثل: أقلت. وإذا بدأت بالاسم كان الشك في الفاعل، مثل: أأنت قلت هذا، ففي هذه الحالة، أنت لا تشك في الفعل إطلاقا، وإنما في فاعله، ولهذا تشير إلى الفعل بقولك هذا. وعليه لا يمكن تداوليا أن يقال: أأنت قلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله، كما لا يمكن أن يقال: أأنت قلت شعرا قط، وأأنت رأيت إنسانا. وإذ تبين الفرق بينهما، لزم هذا الفرق ما كان للتقرير "فإذا قلت: أأنت فعلت ذلك، كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل"³ وهذا الأمر هو ما تبناه قبله المبرد⁴ والآمدني⁵

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب ج3 ص170

² عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب، القاهرة، 1998، ص85

³ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز 113

⁴ ينظر: المبرد: أبو العباس محمد بي يزيد، الكامل، تح: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط2 (1412، 1992)، ج1 ص277

⁵ ينظر: الآمدني، الموازنة تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط4، 2009، ص191.190.189

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ومثاله قوله تعالى " قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ¹ " فهم لم يشكوا في كسر الأصنام وتحطيمها، وإنما في الفاعل الذي حطمها، وإلا لما كانوا أشاروا إليه بقولهم "هذا"، ولهذا كان جواب سيدنا إبراهيم " قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْظِفُونَ ² " ولو كان الفعل بالتقرير لكان الجواب: فعلت أو لم أفعل ³، وإذا قال: أفعلت، فهو يقرره بالفعل من غير أن يردده بينه وبين غيره، وكان كلامه كلام من يوهم أنه لا يدري أن ذلك الفعل كان على الحقيقة، وإذا قال: أأنت فعلت، كان قد ردد الفعل بينه وبين غيره، ولم يكن منه في نفس الفعل تردد ⁴

كما يكون الاستفهام بالهمزة لغرض الإنكار والتوبيخ وهو " أن يكون الإنكار أن يكون الفعل قد كان من أصله ⁵ مثاله قوله تعالى " أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ⁶ " فهذا إنكار في الفعل. وقولنا لشخص: أأنت قلت هذا الشعر، إنكار منا على أن يكون منه إنكار ولم ينكر الشعر. غير أن له صفة يكون الإنكار أشد وأقوى وهو " أن يراد إنكار الفعل من أصله، ثم يخرج اللفظ

1 سورة الأنبياء 63

2 سورة الأنبياء 63

3 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز 113

4 نفسه ص 114

5 ن م ، ن ص

6 سورة الإسراء 40

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

مخرجه إذا كان الإنكار في الفاعل¹ مثال ذلك: ردك على رجل يدعي أن قولاً صدر من أحد أنت تعلم أنه لا يمكن أن يقول "أهو قال ذلك بالحقيقة أم أنت تغلط" تضع الكلام وضعه إذا كنت علمت أن ذلك القول قد كان من قائل، لينصرف الإنكار إلى الفاعل، فيكون أشد لنفي ذلك وإبطاله، ومثال ذلك أن تقول لأحد: أمحمد أمرك بالفعل أم علي، فأنت لا تريد إثبات الفعل لمحمد أو علي، وإنما تريد أن تضيق عليه ليقر بفعله.

1- 2 الاستفهام مع الفعل المضارع: المضارع يعني الحال أو الاستقبال، فإذا كان المقصود الحال "كان المعنى أن تقرره إما بالفعل، إذا بدأت بالفعل، وإما بكونه الفاعل إذا بدأت بالاسم، أما إذا كان المقصود بالمضارع الاستقبال كان المعنى منه الإنكار، فإذا بدئ بالفعل أنكرو الفعل ومثاله قول الشاعر:

أيقتلني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وإذا بدئ بالاسم كان الإنكار متعلقاً بالفاعل الذي كان إنه يفعل إنني أفعل وأنت أردت أن تقول له ليس مثله بفعل أو ليس هو الذي يفعل
وغرض الإنكار "ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع وعي بالجواب إما لأنه قد ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه"²

1 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز 115

2 نفسه ص 119

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ويمثل عبد القاهر لهذا الضرب من القرآن الكريم فيذكر قوله تعالى " أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ¹ " ليس إسماع الصم مما يدعيه أحد، فيكون ذلك للإنكار، وإنما المعنى فيه التمثيل والتشبيه، وأن ينزل الذي يظن بهم أنهم يسمعون، أو أنه يستطيع إسماعهم، منزلة من يرى أنه يسمع الصم ويهدي العمي ² والأمر ذاته بالنسبة للمفعول به، فقولك: أزيذا تضرب، إنكار منك بأن يكون زيد بمثابة من يضرب، ومنه قوله تعالى: " قُلْ أَعْيَبَ اللَّهُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نُبَأٌ مِنْ رَبِّكَ أَنْ يَأْتِيَنَّكُمْ رِجَالٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنْ يَسْمَعُونَ " ³ فهو إنكار من أن يكون هناك ولي غير الله، وهو مالا يؤديه القول: "قل: أأتخذ وليا غير الله" وذلك "لأنه حصل بمعنى التقديم قولك، أيكون غير الله بمثابة أن يتخذ وليا؟ وأيرضى عاقل من نفسه أن يفعل ذلك؟ وأيكون جهل أجهل وعمى أعمى من ذلك" ⁴

وأما إذا كان "يفعل" لفعل موجود؛ فإن المعنى ينقسم بين الإقرار أو الإنكار ومثالة

أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ⁵

1-3 التقديم والتأخير مع النفي

¹سورة الزخرف 40

²عبد القاهرالهرجاني، دلائل الإعجاز 120

³سورة الأنعام 14

⁴عبد القاهرالهرجاني، دلائل الإعجاز 122

⁵سورة يونس 99

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

يأخذ التقديم والتأخير مع النفي المعنى نفسه **تداوليا**، فالذي يقدم؛ يكون أصل الكلام مبنيًا عليه، فعندما تقول: ما فعلت، نفيت فعلا عن نفسك لم يثبت أنه مفعول، أما إن قلت: ما أنا فعلت، فقد نفيت عن نفسك فعلا ثبت أنه مفعول. وإذا استقام هذا المعنى؛ وجدنا أنه لا يمكن أن نقول: ما أنا قلت شعرا قط، أو "ما أنا قلت هذا، ولا قاله أحد من الناس". غير أن سعد الدين التفتازاني أجازته "إذا قامت قرينة على أن التقديم لغرض آخر غير التخصيص، كما إذا ظن المخاطب بك ظنين فاسدين، أحدهما أنك قلت هذا القول، والثاني أنك تعتقد أن قائله غيرك، فيقول لك: أنت قلت لا غيرك، فتقول له: ما أنا قلته، ولا أحد غيري. قصد إلى إنكار نفس الفعل، فتقدم المسند إليه ليطابق كلامه... وهذا إنما يكون فيما يمكن إنكاره، كما في هذا المثال، بخلاف قولك: ما أنا بنيت هذه الدار ولا غيري فإنه لا يصح"¹

ويكون الأمر نفسه مع المفعول به، فإذا قلت: ما ضربت زيدا، نفيت أن يكون معك ضرب على الإطلاق، أما قولك: ما زيدا ضربت، فيعني أن وقع الضرب منك ثابت، غير أنه ليس على زيد، وإنما على شخص آخر، وإذا كان ذلك كذلك، لم يجز القول: "ما زيدا ضربت، ولكني أكرمه"

¹ التفتازاني: سعد الدين بن عمر، المطول، تح عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، مصر،

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

وما يجري على المفعول به، يجري على الجار والمجرور، فإذا قلت: ما أمرتك بهذا، يعني أنه لم يكن من أمر، أما إن قلت: ما بهذا أمرتك، ثبت أنك أمرته بشيء غير الذي قام به.

1-4 التقديم والتأخير في المبتدأ والخبر

يرى عبد القاهر أن تقديم الفاعل ينقسم قسمين:

الأول: الإفصاح عن الفعل وإنكار أن يكون غيره قد فعله، بل قد كان منه الانفراد به، والاستبداد به، كقولنا "أنا قلت في فلان".

الثاني: أن لا يكون **القصد** منه التفرد والاستبداد بالفعل، وإنما له أمور كثيرة منها:

- "أنت أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل وتمنعه من الشك"¹

فإذا قلت في شخص: هو يحب الثناء. فأنت لم تفرد به بحب الثناء، ولكنك أردت أن تحقق على السامع حب الثناء

ومنه قول الشاعر:

هم يضربون الكيش يبرق بيضه على وجهه من الدماء سبائب

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز 128

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

"لم يرد أن يدعي لهم الانفراد، ويجعل هذا الضرب لا يكون إلا منهم، ولكن أراد الذي ذكرت لك، من تنبيه السامع لقصدهم بالحديث من قبل ذكر الحديث، ليحقق الأمر ويؤكد¹"

ومنه قوله تعالى "وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ"² ويذكر عبد القاهر أن هذا الرأي-أي تقديم المحدث عنه-قد ذكره صاحب الكتاب أي سيبويه

ويحاول عبد القاهر أن يثبت ما ذهب إليه بقوله: أنك إذا قلت: عبد الله، رأيت السامع يشد انتباهه نحوك وإذا أخبرته بأن قلت: قام أو خرج، ارتاح قلبه وانشرح. -أن يكون في موطن شك فيراد إزالته مثاله "أنا اعلم" لمن شك في عدم علمك -أن يكون في موطن التكذيب كقوله تعالى "وإذا جاؤوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به"

-أن يكون في موطن القياس كقوله تعالى "وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ" وذلك أن عبادتهم لها تقتضي أن لا تكون مخلوقة".
-كل خبر يكون على خلف العادة كقولنا "أترجم الشجاعة وأنت تخاف من ظلك".
-كل ما كان فيه وعد وضمن كقولنا: أنا أعدك، أنا أضمن لك.

¹ نفسه 130

² سورة الفرقان 2

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

- ما كان في المدح كقول الشاعر:

ولأنك تقري ما خلقت وبع ض القوم يخلق ثم لا يقري

-زيادة الإثبات ونفي الشك إذا كان الفعل مما لا يشك فيه، ولا ينكر بحال، فالفرق بين قولنا: حبيته وقد خرج، وقولنا: حبيته وهو قد خرج، كان في الثانية أكد من الأولى، وأنفى أن يكون منه استرخاء في الخروج، وهذا يكون عادة بعد واو الحال. أما إذا كان الفعل مضارعاً بعد هذه الواو، فإنه ينبغي أن يبدأ به، حيث لا يصلح إلا أن يكون مبنيًا عليه كقولنا: رأيتَهُ وهو يكتب.

ويذكر عبد القاهر أمثلة من القرآن يمثل بها فحوى ما ادعاه. فقوله تعالى "إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ"¹ فإنه لا يخفى على من له ذوق أنه لو جيء في ذلك بالفعل غير مبني على الاسم فقليل "إن وليي الله الذي نزل الكتاب ويتولى الصالحين".." لوجد اللفظ قد نبا عن المعنى، والمعنى قد زال عن صورته والحال التي ينبغي أن يكون عليها"²

وإذا كان تقديم الاسم في الإثبات للتأكيد؛ فإنه كذلك في النفي، فإذا قلنا: أنت لا تحسن هذا، كان أشد نفيًا من قولنا: لا تحسن هذا.

¹سورة الأعراف 196

²عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز 137

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ومنه ورد قوله تعالى: "وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ"¹

كما يلحق عبد القاهر "مثل" و"غير" بالاسم إذا أضيفت للإنسان فهي مما يذكر دائماً أولاً

1-5 التقديم والتأخير في النكرة

يفرق عبد القاهر بين قولنا: أجمك رجل، وأرجل جمك، أن الأول متعلق بالسؤال عن المجمع في حد ذاته، أما في الثاني فالبحث يكون في جنس الجمعي، أرجل هو أم امرأة، ويسقط معنى هذا الاستفهام على الخبر، فإذا قلت: رجل جمك، كنت أجمت أحدا علم المجمع أنه كان من رجل لا امرأة، أما إذا قلت: جمك رجل فأنت تخبر عن الفعل وهو المجمع.

1-6 التقديم والتأخير في المعرفتين

يحاول عبد القاهر في هذا الشأن أن يثبت بطلان قاعدة نحوية يكون على أساس ذلك بناء الفرق بين تقديم المبتدأ والخبر المعرفتين وتأخيرهما فيقول: "ومما يوهم ذلك قول النحويين في "باب كان" إذا اجتمع معرفتان كنت بالخيار في جعل أيهما شئت اسماً والآخر خبراً، كقولك: كان زيد أخاك، و كان أخوك زيدا، فيظن من هاهنا أن تكافؤ الاسمين في التعريف يقتضي أن لا يختلف المعنى بأن تبدأ بهذا وتنتي بذلك،

¹ سورة المؤمنون 59

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

وحتى كأن الترتيب الذي تدعي بين المبتدأ والخبر، وما يوضع لهما من المنزلة في التقدم والتأخر، يسقط ويرتفع إذا كان الجزءان معا معرفتين¹

وينكر هذا بوضع حد للمبتدأ والخبر وهي "أن المبتدأ لم يكن مبتدأ لأنه منطوق به أولاً، ولا كان الخبر خبراً لأنه مذكور بعد المبتدأ، بل كان المبتدأ مبتدأ لأنه مسند إليه، ومثبت له المعنى، والخبر خبراً لأنه مسند ومثبت به المعنى"²

ويوضح ذلك بالعديد من الأمثلة منها:

قولنا: "الحبيب أنت"، و "أنت الحبيب"، ذلك أن معنى "الحبيب أنت" أنك استغرقت جنس الحب كله فيه، كما جاء عن بعض الحكماء أنه قال: "الحبيب أنت إلا أنه غيرك" وهو ما تعدمه بقولك: أنت الحبيب

ويمكن أن يخرج الاستغراق من الجنس بعدد من الطرق:

-إدخال الصفة على أساس الأجناس، فيكون الرجل الذي هو جنس واحد إذا وصف فقيلاً: رجل ظريف، خرج عنه الاستغراق التام.

-إدخال الصفة على المصادر كقولنا العلم، الجهل، ثم تصفه مثلاً علم مكتسب وغير ذلك.

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز 187

² نفسه 189.

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

-إدخال الصلة على المصدر كقولك: الضرب بالسيف، فبذلك خرج الضرب من كونه صفة جنس واحد إلى أشياء أخرى.

-إدخال الصلة على الاسم المشتق كقول الشاعر:

وهو الضارب الكتبية والطعنة تعلقو، والضرب أعلى وأعلى

كما أن "أل" الدالة على الجنسية لها معنى في المبتدأ هو غيره في الخبر مثاله "أنت الشجاع" و"الشجاع موفى"، ففي قولنا "الشجاع موفى" يدل على أنه من كان شجاعاً فهو موفى لا محالة، ويتبع في ذلك كل الشجعان ويمكننا أن نقول: كل الشجعان موفون، أما قولنا: أنت الشجاع، فلا معنى للاستغراق فيه.

الفصل الثاني: البعد التداولي في مباحث علم البيان

يعرف علم البيان على أنه: "معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"¹

ويبدو من خلال التعريف أن هذا العلم يهتم بالخيارات الخطابية التي يمنحها هذا العلم للمتكلمين، قصد الكشف عن كلامهم، والبوح عن مقاصدهم، وذلك وفق شرط المناسبة بين القصد أو النية وهي الجزء المتعلق بالتكلم من جهة، والمقام الذي يفرضه التخاطب من جهة أخرى، وهو ما يحقق التواصل ويؤدي إلى الإنجاز الفعلي لمقتضيات القول. ولهذا؛ فهذا العلم وفق هذا التصور ذو بعد تداولي.

فقوله "إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة"؛ يعني أن تقدم الدلالة إلى المتلقي بطرق متعددة، وهذا هو جوهر البلاغة؛ فهي تتيح للمتكلم التعبير عن الغرض الواحد بطرق مختلفة، يتحقق من خلالها تفاضل المعاني. هذا الأخير الذي لا يكون بالدلالات الوضعية كاستعمال المترادفات لأنك "إذا أقمت مقام كل كلمة منها ما يرادفها؛ فالسامع؛ وإن كان عالماً بكونها موضوعة لتلك المفهومات، كان فهمه منها كفهمة

¹السكاكي، مفتاح العلوم ص 249

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

من تلك، من غير تفاوت في الوضوح¹ وإنما يكون في "الدلالات العقلية، مثل أن يكون لشيء تعلق بآخر و لثان و لثلاث، فإذا أريد التوصل بواحد منها إلى المتعلق به، فمتى تفاوتت تلك الثلاثة في وضوح التعلق وخفائه، صح في طريق إفادته الوضوح والخفاء"²

ولهذا فالدلالة ثلاثة أنواع:

دلالة مطابقة: وهي الدلالة الوضعية يتطابق فيها اللفظ مع معناه، كدلالة قلم على أداة الكتابة المعروفة؛ وهذا يعرف عند البلاغيين بـ "المفهوم الأصلي".

دلالة التضمن: وهي على خلاف الأولى، فهي دلالة عقلية لا وضعية، وتكون متى كان للمفهوم الأصلي تعلق بمدلول آخر داخل فيه، كدخول الغصن في مفهوم لفظ الشجرة

دلالة الالتزام: وهي دلالة عقلية أيضا؛ وتكون متى كان للمفهوم الأصلي تعلق بمدلول آخر عقلي خارج عنه؛ إلا أنه لازم له كمفهوم الغصن فإنه لا يدخل في معنى الشجرة، وبكفيك أن تذكر الغصن ليلزم أن يكون هناك شجرة، وبذلك ينتقل العقل إلى الشجرة عند سماع كلمة الغصن.

¹السكاكي، مفتاح العلوم ص 437

²نفسه ص 437

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

فعلم البيان بحكم كونه "إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة لا يكون إلا في" الدلالات العقلية "لأن العقل ينتقل فيها من معنى إلى معنى آخر من جراء علاقة بينهما. كما أن التعلق في الدلالة قد يكون مما يثبته "اعتقاد" المخاطب، ويكون ذلك الاعتقاد راجعا لما تعارف عليه في العرف، أو لغير العرف؛ كأن يكون أمرا تخيليا أو توهيميا، وبذلك يحاول المتكلم إفهام المخاطب انطلاقا من الانتقال من "المفهوم الأصلي" إلى "المعنى المقصود" بواسطة ذلك التعلق في اعتقاد المخاطب¹ إن ربط المعاني وتفاوتها باعتقاد المخاطب، وضرورة التزام المتكلم بها في بناء صورته المختلفة هو الذي يثبت البعد التداولي لعلم البيان

وإذا حاولنا تفصيل هذا الأمر فإننا نجد السكاكي يربط ذلك الأمر بما سماه "اللازم والملزوم"، حيث يقول: "وإذا عرفت أن إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتى إلا في الدلالات العقلية، وهي: الانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما، كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه، ظهر لك أن علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعاني"² ثم يعرف اللزوم بأنه "تصور بين الشيئين، فإما أن يكون من الجانبين، كالذي بين الأمام والخلف بحكم العقل، أو بين طول القامة وبين طول النجاد بحكم الاعتقاد، أو من جانب واحد، كالذي بين العلم والحياة بحكم العقل،

¹ السكاكي، مفتاح العلوم ص 437

² نفسه ص 438

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

أو بين الأسد و الجرأة بحكم الاعتقاد، ظهر لك أن علم البيان اعتبار هاتين الجهتين :
جهة الانتقال من ملزوم إلى لازم، وجهة الانتقال من لازم إلى ملزوم¹
فقولنا: "رعينا الغيث"؛ فالمقصود ليس رعي السحاب أو المطر، وإنما رعي العشب
الذي هو لازم من لوازم نزول المطر، ولهذا كان "طريق الانتقال من الملزوم إلى اللازم
طريق واضح"² وعلى هذا الأساس وضع أصول "علم البيان"
فالمجاز إذا أصل من أصول البيان وقاعدة اللازم والملزوم واضحة، وهو ما رأيناه في
المثال السابق، وكذلك الكناية وهي التي: "ينتقل فيها من اللازم إلى الملزوم، كما
تقول: فلان طويل النجاد، والمراد طول القامة الذي هو ملزوم طول النجاد، فلا يصار
إلى جعل النجاد طويلاً أو قصيراً، إلا لكون القامة طويلة أو قصيرة"³ ويكون طريق
الانتقال فيها من اللازم إلى الملزوم بالغير، أي العلم بكون اللازم مساوياً للملزوم أو
أخص منه"⁴

بعبارة أخرى فإننا نحتاج في الكناية إلى ما هو خارج عن الكلام، وهو العلم المسبق
بأن؛ مثلاً؛ طول النجاد مساوٍ للقامة، أي أنها تعتمد على المعلومات المشتركة بين

¹ السكاكي، مفتاح العلوم ص 438

² ن م ن ص

³ ن م ن ص

⁴ ن م ن ص

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

طرفي العملية التخاطبية، وإلا فإن السامع لن يتوصل إلى المعنى المقصود الذي يهدف المتكلم في إيصاله.

وأما التشبيه فصورته في الانتقال واضحة حيث تفهم دلالته من الأجزاء المشتركة بين طرفيه، وسنفصل فيه مع الكناية والمجاز في المباحث التالية

التشبيه

البعد التداولي في قضايا التشبيه:

المبحث الرابع: الصورة التشبيهية من القياس إلى التمثيل

التشبيه لغة: الشبه. والتشبيه: المثل، وأشبه الشيء مائله، وأشبهت فلانا وشبهته واشتبته

علي، وتشابه الشيطان اشتبها: أشبه كل واحد منهما صاحبه، والتشبيه: التمثيل " 2.1

لقد افتتن اللغويون بالتشبيه أكثر من غيرهم لأنه "كان أكثر الأنواع جذبا لانتباههم

وأكثرها إثارة لإعجابهم... إذ إن أدواته تجعله أول ما يلفت انتباه المتلقي للشعر، فضلا

عن أن كثرته الملحوظة في الشعر الجاهلي أمر لفت انتباه اللغويين لفتا شديدا دائما"³

¹ ابن منظور، لسان العرب مادة "شبه" ص 2189

² لم يفرق ابن الأثير والزمخشري بينهما، أما عبد القاهر والسكاكي والقزويني ففرقوا بينهما

³ جابر عصفور، الصورة الفنية، في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، الدار

البيضاء، ط3، 1992 ص 104

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

وإن افتتاحهم بالشعر جعلهم يقرنون الشاعرية به؛ فذو الرمة يقول "إذا قلت: كأن، فلم أجد وأحسن، فقطع الله لساني"¹

وهو ما ذهب إليه حماد حين يقول "أحسن الجاهلية تشبيها امرؤ القيس، وأحسن أهل الإسلام تشبيها ذو الرمة"²

وأكثر من ذلك، فقد كان اللغويون يحكمون على الشاعر بمدى قدرته على التشبيه، فيقول ابن سلام عن امرئ القيس "كان أحسن طبقتة تشبيها، وأحسن الإسلاميين تشبيها ذو الرمة"³

ولهذا فإن احتفاء العرب بالتشبيه وجعله حكما بين الشعراء بما له من فعالية خطابية، حيث تظهر طبيعتها في القدرة على الإقناع أو الإمتاع، فيحسن السكوت، ويتم الاتصال، ويحدث التأثير، ويتم التجاوب ويكون الإنجاز، وهذا هو الأصل فيما تطرحه التداولية حديثا.

إننا سنحاول اكتشاف الأبعاد التداولية للتشبيه وفق المباحث التي طرقها العرب فيه بدءا من المفهوم، مروراً بالأغراض ووصولاً عند الأنواع.

¹ أبو نصر الباهلي، شرح ديوان ذي الرمة ص 15

² المرزباني: أبو عبيد الله محمد بن عمران، الموشح، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، مصر، ص 225

³ ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1952، ص 46

أ- البعد التداولي في مفهوم التشبيه وتفريعاته:

يعد المبرد – وهو من اللغويين الكبار – من الأوائل الذين غاصوا عميقا في التشبيه، فحدد مفهومه، ووسع مباحثه، ووضع له مكانا عاليا بين صنوف التعبير الأخرى، فهو يعرفه بقوله: "واعلم أن للتشبيه حدا، فالأشياء تتشابه من وجوه، و تتباين من وجوه، و إنما ينظر للتشبيه من حيث وقع"¹. وفكرة القيد هذه في بعض الوجوه دون غيرها أساسها أن الشئيين إذا اتفقا في جميع الصفات صارا شيئا واحدا وانعدم التشبيه، وهذه الفكرة سنجد العديد ممن أتوا بعده يرددونها بصريح العبارة. كما أقر بجريانه على كلام العرب "حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد"²، ولأنه كذلك، وضع له العديد من التعريفات أهمها قوله "العرب تشبه على أربعة أضرب: فتشبيه مفرط، وتشبيه مصيب، وتشبيه مقارب، وتشبيه بعيد، يحتاج إلى التفسير، ولا يقوم بنفسه، وهو أخشن الكلام"³

¹المبرد، الكامل، ص948

²نفسه ص996

³نفسه ص1032

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

و قد استقرأ الشعر العربي، و جمع الشواهد الشعرية والقرآنية، ما جعله يضيف العديد من التفريعات له منها: الجامع، الجيد، الحسن، العجيب، المتجاوز، المحمود، المستحسن، المصيب، المليح، المقارب وغيرها¹

وإذا أردنا استنتاج البعد التداولي لما طرحه المبرد فسندجه يكمن في أمرين:

الأول: في قوله "وإنما ينظر للتشبيه من حيث وقع"، والمقصود من حيث وقع على السامع أو المتلقي، فموقع التشبيهات على المتلقي تختلف، فمنها ما يزيد من تقريب الشيء والتسهيل على المتلقي الفهم، ومنها ما يؤدي عكس ذلك،

الثاني: في التفريعات التي قدمها، فهي ذات بعد تداولي يدرك من خلال الاستجابة المتوقعة من المتلقي، فالتشبيه المصيب والمقارب يحققان العملية التواصلية ويجعلان أمر الإنجاز بسيطاً وسهلاً، وأما التشبيه البعيد فهو في ذاته يحتاج إلى تفسير، وهو ما يخلق عثرة في العملية التواصلية؛ إذ كيف يرجع المتكلم لتفسير المفسر بكسر السين. وأما قدامة ابن جعفر فقد أدرك حقيقة التشبيه، فاعترف بأن أحسن التشبيه هو ما أوقع بين الشئيين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفردهما فيها، حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد، وهذا معناه أنه كلما زاد وجه الشبه بين الطرفين نجحت العملية التواصلية وأدرك الغرض وحدث الإنجاز، "أما التشبيه الذي يخفي فيه وجه الشبه بين

¹ ينظر: نفسه، ص 1047.1053 وغيرها

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

الطرفين ويدق، فإن قدامة لا يتحمس له، لأنه لا يرحب بالخيال النشيط الجامح الذي يبحث عن الصلات الخفية بين الأشياء".¹

وأما الرماني فيعرف التشبيه بقوله: "التشبيه هو العقد على أن أحد الشئيين يسد مسد الآخر في حس أو عقل، ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس"² فالتشبيه في القول مثل: زيد شديد كالأسد، والتشبيه في النفس يكون باعتقاد هذا المعنى، والتشبيه الحسي يكون كماءين وذهبيين، يقوم أحدهما مقام الآخر، وأما التشبيه النفسي فنحو: تشبيه قوة زيد بقوة عمرو، فالقوة لا تشاهد ولكن تعلم. إن ربط الرماني التشبيه بالحس و العقل، يعني أن الإحساس يشترك مع العقل في فهم التشبيه، وقد سمي الرماني الاشتراك باسم العقد، و هذا العقد يكون بين شئيين، على أن يسد أحدهما مكان الآخر، فالتشبيه عنده يتفاضل فيه الشعراء وتظهر فيه بلاغة البلغاء وهو على طبقات:

1- إخراج ما لا تقع عليه الحاسة: كقوله تعالى: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا"³. فهذا بيان قد أخرج ما تقع عليه

¹ علي عشري زايد: البلاغة العربية (تاريخها، مصادرها و مناهجها)، ط5، مكتبة الآداب ، القاهرة، 2006. ص64.

² الرماني، النكت ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص 80

³ سورة النور 39

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، وقد اجتمع في بطلان المتوهم مع شدة الحاجة، و عظم الفاقة، و لو قيل يحسبه الرائي ماء، ثم يظهر أنه على خلاف ما قدر لكان بليغا، و أبلغ منه لفظ القرآن، لأن الضمان أشد حرصا عليه و تعلق قلبه به، ثم بعد هذه الخيبة تحصل على الحساب الذي يصيره إلى عذاب الأبد في النار.

2- إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به عادة، كقوله تعالى "إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلْنَا مِنْ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ" 1 ووجه الشبه يكمن في الزينة والبهجة ثم الهلاك بعد ذلك .

3- إخراج ما لا يعلم بالبدئية، إلى ما يعلم بالبدئية، كقوله تعالى: "مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا" ووجه الشبه في الجهل بما حملا، وفي ذلك العيب لطريقة من ضيع العلم بالاتكال على حفظ الرواية من غير دراية.

4- إخراج ما لا قوة له في الصفة، إلى ما له قوة في الصفة، كقوله تعالى: "و له الجواري المنشآت في البحر كالأعلام". 2.

ومن خلال هذه التعريفات نجد أن الرماني يعمل جاهدا من أجل تحقيق العملية التواصلية، فتشبيه المعقول بالمحسوس مثلا يكون أسهل إلى الإدراك، وأبلغ في التوصيل والتواصل، ومثل هذا الكلام ينطبق على الذي لم تجر به العادة، أو مالا

¹ سورة يونس 24

² سورة الرحمن 24

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

يعلم بالبدئية، أو مالا قوة له في الصفة، فكل واحد من هذه الأنواع يحتاج إلى ما يناظره حتى يكون إلى الأفهام أقرب وإلى الإنجاز أيسر وأصوب.

أما الآمدي فيعرف التشبيه بقوله: "أن الشيء إنما يشبه بالشيء إذا قاربه، أو دنا من معناه، فإذا شاببه في أكثر أحواله، فقد صح التشبيه و لاق به"¹. وهو بهذا "يشير صراحة إلى أن الصفات تدعم مفهوم المشابهة، وهي في الغالب صفات خارجية لا تصل إلى البعد النفسي للطرفين، فهو لم ينص صراحة إلا على تقدير التناسب و المشابهة في أكثر أحوالها. و هذا الفهم هو الغالب عند أكثر النقاد"².

فتصريح الآمدي بكون المشبه به إذا وافق المشبه في كثير من الصفات لاق به يعني أنه يضع عملية الفهم هي الأساس، فكلما زادت عناصر المشابهة كلما سهلت العملية التواصلية وحدث الإنجاز، وكلما قلت تلك الصفات أبهم الأمر وحدث الإغلاق وفشلت العملية التواصلية

أما ابن طباطبا فيرى أن طريقة العرب في التشبيه، لا تتجاوز ما رأوه في البادية، وما عايشوه فيها، وهي مستمدة من تجاربهم، لأنهم أهل وبر، فعيناها و حسها هي المتضمنة في تشبيهااتهم. "فإذا تأملت أشعارها، وفتشت جميع تشبيهااتها، وجدتها

¹الآمدي،الموازنة ج 1ص351

²أحمد علي دهمان: الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، ط2، 2000. ص337.

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

على ضروب مختلفة، تتدرج أنواعها، فبعضها أحسن من بعض، وبعضها أطف من بعض. فأحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقض، بل يكون كل شبه يصاحبه مثل صاحبه، و يكون صاحبه مثله مشتبهها به صورة و معنى، وربما أشبه الشيء الشيء صورة وخالفه معنى، وربما أشبهه معنى وخالفه صورة¹. من أجل هذا لا بد من وجود نوع التناسب العقلي بين الطرفين، و هذا التناسب القائم على أساس من العقل صحيح وواضح يجعل من التشبيه صحيحا حتى لو قلب، فمادة التشبيه هي من الواقع المحسوس و المرئي و إذا عكس التشبيه فإن المعنى لا يختلف، لأن الطرفين محافظان على أصلهما المادي².

أما ابن رشيق فيؤكد آراء سابقيه، فيقول: "التشبيه صفة الشيء بما قاربه أو شاكله، من جهة واحدة، أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه"³. و هذا التحديد لا يخرج – كما يبدو – عن التطور العام للتشبيه، ذلك التصور القائم على التمايز بين الطرفين، والعناية بالشكل و الصبغة⁴.

¹ ابن طباطبا: محمد بن أحمد، عيار الشعر، تح: محمد زغلول سلام، دار المعارف، الاسكندرية، ص 47

² أحمد علي دهمان: الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ص 337.

³ القيرواني أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، سوريا ط 5، 1981، ج 1 ص 287

⁴ نفسه، ج 1 ص 343.

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

فابن رشيق يعدد أنواع التشبيه الذي يأتي على ضربين: حسن و قبيح. " والتشبيه الحسن هو الذي يخرج الأغمض إلى الأوضح فيفيد بيانا، والتشبيه القبيح ما كان على خلاف ذلك، فما تقع عليه الحاسة أوضح في الجملة مما لا تقع عليه الحاسة، والمشاهد أوضح من الغائب... وسبيل التشبيه عنده، إذا كانت فائدة إنما تقرب المشبه من فهم السامع و إيضاحه له، أن تشبه الأدنى بالأعلى إن أردت مدحه"¹، لقد كانت التبريرات التي قدمها ابن رشيق تصب جميعها في طرق إنجاح العملية التواصلية، فيقر بأن الأصل فيه هو تقرب المشبه من فهم السامع وإيضاحه، وإذا انتفى هذا الأمر فلا جدوى منه، وهذا ما يفسر البعد التداولي في مفاهيم ابن رشيق.

ب- البعد التداولي للتشبيه من خلال الأغراض: ويظهر جليا من خلال مايلي:

- كون التشبيه بيانا لحال المشبه إذا كان السامع يجهل ذلك: " فما يعود إلى المشبه لبيان حال كما إذا قيل لك: ما لون عمامتك؟ قلت كلون هذه. وأشارت إلى عمامة

¹ نفسه ج1 صص 290.287

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

لديك"¹، فهنا يحاول المتكلم إظهار طبيعة المشبه في صورة يمكن للمتلقي استيعابها، وهو ما يُحدث التفاهم ويجلب التفاعل بين المتخاطبين

-تزيين المشبه إلى السامع أو تشويبه: "كما إذا شبهت وجهها أسود بمقلة الطيبي، إفراغاً له في قالب الحسن وابتغاء تزيينه، أو كما إذا شبهت وجهها مجدوراً بسلحة جامدة وقد نقرتها الديكة، إظهاراً له في صورة أشوه؛ إرادة ازدياد القبح والتنفير"² وهنا يخضع البعد التداولي لقصد المتكلم من التشبيه؛ ويخضع فيه لموقف المتكلم من المشبه به، فهو يرسمه في صورة ليست كما ينبغي المشبه أو هي فيه حقيقة، وإنما مرد الأمر إلى غرض المتكلم أنه في الرفع من شأن المشبه أو الحط من قدره وإسقاط منزلته، وفي كلتا الحالتين تظهر الصورة بارزة للمتلقي عن طبيعة المشبه، فيتخذ منه موقفاً سواء أكان ذلك الموقف إيجابياً أو سلبياً

-الاستطراف، وهو محاولة المتكلم إحداث نوع من الطرافة تستثير ذهن المخاطب فيعمل جاهداً قصد فك شفرتها؛ ذلك أن " المشبه به نادر الحضور في الذهن... فإذا أحضر استطرف استطراف النوادر عند مشاهدتها، واستلذ استلذاها

¹السكاكي، مفتاح العلوم، 448

²ن م ن ص

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

لجدها، فلكل جديد لذة"¹ ومنه "حضور النار والكبريت مع حديث البنفسج والرياح، كما في قوله:

ولا زوردية تزهو بزرقتهما بين الرياض على حمر اليواقيت

كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت

فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت ليست مما يمكن أن يقال: إنها نادرة الحضور في الذهن، نادرة صورة بحر من المسك موجّه الذهب، وإنما النادر حضورها مع حديث البنفسج فإذا أحضر إحضاراً مع المشبه استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراءى ناراهما"² فالاستطراف حالة شعورية يبتغي من خلالها المتكلم التفاعل مع المتلقي ومشاركته الأمر، فينقل له الأمر في صورة ينتقل فيها من الاستشعار إلى التفاعل، وهذا ما يخلق الأثر النفسي لدى المتلقي، فينشرح صدره وتتوق نفسه وهو ما يجلب له حسن الإفادة ودوام الطلب والاستزادة و من الأغراض التي تعود على المشبه به لا المشبه:

- كسر المألوف الذي استقر في وعى السامع، وذلك من جراء عملية قلب طرفي التشبيه، فيصبح المشبه مشبهاً به، وبالعكس ومرجع ذلك إلى: "إيهام كونه المشبه به أتم من المشبه في وجه الشبه كقوله:

¹ نفسه ص 449

² السكاكي، مفتاح العلوم، ص 449

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

بدا الصبايح كأن غرته وجه الخليفة حين يُمتدح

فإنه تعدد إيهام أن وجه الخليفة في الوضوح أتم من الصباح¹، فكسر المألوف يستثير هنا السامع ويستجلب انتباهه مما يجعل العملية التخاطبية في تواصل مستمر حتى يفك اللغز ويظهر الخفي ويحدث التفاعل ويتم الاشتراك.

أما الغرض الثاني العائد للمشبه به، و الذي يتعلق أو يعكس اهتمام " المتكلم " وهو ما سماه " السكاكي " " إظهار المطلوب "؛ مثلاً؛ إذ" قيل :هذا الوجه يشبه ماذا؟ فقلت " :الرغيف " إظهاراً لاهتمامك بشأن الرغيف لا غير، وهذا الغرض يسمى إظهار المطلوب²، وهنا يظهر البعد التداولي في كون المتكلم يريد تأدية معنى من المعاني فلا يطلبه بنفسه ولكن يعرض عليه، وذلك بإقحامه في العملية التواصلية بأي طريق أسلوبية، ويعتبر التشبيه في هذه الحال من أهم تلك الطرق، فلا ينصرف هنا لأشياء لا يبتغيها أو يعزف عنها بل يخضع الملفوظ الكلامي لجبروت الرغبة الذاتية بصورة تجعل المتلقي يفهم الغرض، فيحدث التفاعل ويتم الاشتراك.

البعد التداولي في الاستعارة:

تعد الاستعارة من أهم الأبواب البلاغية؛ كونها "أمد ميدانا وأشد افتنانا، وأكثر جريانا وأعجب حسنا وإحسانا، وأوسع سعة وأبعد غورا، وأذهب نجدا في الصناعة وغورا،

¹ نفسه ص 451

² السكاكي، مفتاح العلوم، ص 453

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

من أن تجمع شعبها وشعوبها، وتحصر فنونها وضروبها، نعم، وأسحر سحرا، وأملاً بكل ما يملأ صدرا، ويمتع عقلا، ويؤنس نفسا، ويوفر أنسا، وأهدى إلى أن تهدي إليك أبدا عذارى قد تخير لها الجمال، وعني بها الكمال... وأن تأتيك على الجملة بعقائل يأنس لها الدين والدنيا، وفضائل لها من الشرف الرتبة العليا، وهي أجل من أن تأتي الصفة على حقيقتها، وتستوفي جملة جمالها".¹

بالإضافة على هذا فإنها والتشبيه والكناية: "أصول كبيرة كأن جل محاسن الكلام - إن لم نقل كلها- متفرعة عنها وراجعة إليها، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها، وأقطار تحيط بها من جهاتها"²

الاستعارة نمط بلاغي يندرج ضمن الصور البيانية، وهي في حدها تشبيه حذف أحد طرفيه، ويكون الانتقال فيها من المعنى الحرفي إلى المعنى الدلالي بواسطة قرينة مانعة من إرادة المعنى اللفظي للملفوظ الكلامي.

واعتبار حدها تشبيها كون ذلك يحصل انطلاقا من قانون الحذف ويكون ذلك وفق النمط التالي:

الرجل كالأسد في الشجاعة فهذا تشبيه تام.

الرجل كالأسد فهذا تشبيه مجمل.

¹ السكاكي، مفتاح العلوم ، ص 42

² عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة 27

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

الرجل أسد تشبيهه بليغ.

جاءني أسد استعارة تصريحية.

رأيت رجلا يزأر استعارة مكنية.

وبهذا تكون الاستعارة: " أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به، كما تقول: "في الحمام أسد" ، وأنت تريد به الشجاع، مدعيًا أنه من جنس الأسود، فثبت للشجاع ما يخص المشبه به، وهو اسم جنسه، مع سد طريق التشبيه بإفراجه في الذكر، أو كما تقول: "إن المنية أنشبت أظفارها" وأنت تريد بالمنية السبع، بادعاء السبعية لها، وإنكار أن تكون شيئاً غير سبع، فثبت لها ما يخص المشبه به، وهو: الأظفار، وسمي هذا النوع من المجاز استعارة"¹

ثم يضيف "اعلم أن وجه التوفيق هو أن تبني دعوى الأسدية للرجل على ادعاء أن أفراد جنس الأسد قسمان بطريق التأويل: متعارف، وهو الذي له غاية جرأة المقدم، ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة؛ وغير متعارف: وهو الذي له تلك الجرأة وتلك القوة، لا مع تلك الصورة... مستشهداً لدعواك هاتيك بالمحيلات العرفية، والتأويلات المناسبة، من نحو حكمهم إذا رأوا أسدًا هرب عن ذئب "أنه ليس بأسد"، وإذا رأوا إنسانًا لا يقاومه أحدٌ " أنه ليس إنسان، وإنما هو أسد، أو هو أسد في صورة إنسان،

¹السكاكي، مفتاح العلوم، ص 477

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

وأن تخصص تصديق القرينة بنفيها المتعارف الذي يسبق إلى الفهم، ليتعين ما أنت تستعمل الأسد فيه"¹

فالمحيلات العرفية هي المنطقة المشتركة بين المتكلم والمتلقي، وهذه المنطقة تحتوي على مجموع الأعراف اللغوية والأحكام القيمية المجمع عليها بين طرفي العملية التخاطبية، والضامن في هذا الأمر هو القرينة التي تؤدي الدورين التاليين: الأول: نقل ذهن المتلقي من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي الثاني: الربط بين المتخاطبين، فهي القادرة على تحقيق البعد المجازي ومن دونها يرجع الكلام إلى طبيعته الحقيقية.

وفي كلتا الحالتين فهي التي تبين الغرض وتكشف القصد وتوضح المرغوب، ولذلك فهي تشكل بؤرة التفاعل التداولي كونها الضامن الوحيد لمقصد المتكلم، فهي التي تمنع: "عن حمل المفرد بالذكر على ما يسبق منه إلى الفهم، كي لا يحمل عليه فيبطل الغرض التشبيهي، بانثاء دعواك على التأويل المذكور، ليتمكن التوفيق بين دلالة الأفراد بالذكر، وبين القرينة المتمانعتين، ولتمتاز دعواك عن الدعوى الباطلة"²

إن هذا الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى الكلامي هو الأساس الذي بنى عليه سيرل Searl نظرتة للملفوظ الاستعاري: "فإن مشكلة الاستعارة عنده هي

¹السكاكي، مفتاح العلوم، ص480

²السكاكي، مفتاح العلوم، ص483

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

جزء من مشكلة لغوية عامة هي تفسير الكيفية التي ينزل فيها معنى المتكلم عن معنى الجملة أو الكلمة، أو بعبارة أخرى : كيف تقول شيئاً وتعني شيئاً آخر¹

ومن أجل فك شيفرات الملفوظ الاستعاري، فقد اعتبر سيرل الاعتماد على المعنى الحرفي ضرورياً، مفرقا في ذلك بين معنى المتكلم ومعنى الجملة، وفي حالة توافق الملفوظ الحرفي مع معنى المتكلم، فإننا في هذه الحال لا يمكننا أن نتكلم عن ملفوظ استعاري بقدر ما تكلم على منجز لفظي (مركب نحوي)، والفرق بينهما أن المنجز الحرفي يمكن فهمه بعيدا عن سياق قائله، على خلاف المنجز الاستعاري الذي يتطلب السياق أو ما يعرف بالقرينة حتى يؤدي دوره²

وفي هذا الصدد يمكننا أن نضرب المثال التالي: القاعة باردة. فيمكننا فهم هذا الملفوظ انطلاقا من المستويات التالية:

على المستوى التركيبي الحرفي: يعني البرودة المعروفة ويكون هذا الأمر عند قصد الإخبار ببرودة الطقس تكون طلبا بإشعال المدفأة إذا كان غرض المتكلم ذلك، وهذا باعتماد مفهوم الأفعال المضمرّة، أو الفعل الكلامي غير المباشر حسب مبادئ غرايس.

¹أحمد صبرة : التفكير الاستعاري في الدراسات الغربية ، دار الصديقان للنشر والإعلان ، الاسكندرية 1998م ص 65

2voir : John R. Searl : Metaphor, P 92

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

كما تكون للمزاح إذا كان الجو حاراً جداً.
وأما فهمها استعارياً فيمكن أن تفهم إذا كان النقاش لا جدوى منه، أو عدم حضور الطلبة.

إن الرؤية التداولية للاستعارة تأخذ في الحسبان أمرين:

الأول: المركب الحرفي والذي تتدخل فيه قواعد اللغة، ويكون الغرض الأساسي منه التوصيل في الحالة العادية.

الثاني: المركب الاستعاري القائم على الانزياح، وهو الجانب البلاغي الذي تؤديه الاستعارة، والضابط فيه القيم الاجتماعية والثقافية أو المحيالات العرفية كما سماها السكاكي.

والرابط بين الأمرين هو مقاصد المتكلمين ونواياهم. ولهذا فإن الرؤية التداولية للاستعارة تنطلق من كون المعنى الحرفي متجاوزاً.

وتختلف درجة المنطوق الاستعاري وأهميته حسب مستويات

المتخاطبين، إذ من شأنه أن تجرى فيها الفضيلة، وأن تتفاوت التفاوت الشديد، أفلا ترى أنك تجد في الاستعارة العاميَّ المُبتدِّل كقولنا: رأيت أسداً، ووردت بحراً،

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ولقيت بدرأ، والخاص النادر الذي لا تجده إلا في كلام الفحول ولا يقوى عليه إلا أفراد الرجال " ¹

إن هذا الطرح قائم على النظرة الشمولية للأجناس البلاغية، ودورها وفق ما يقتضيه النظم القائم على المزايا والفضائل.

ولهذا، فقد تجد فيها ما قُتل تمثيلاً حتى ألحق بالحقيقة وخرج من البيان، ولم يعد له مفعول يذكر، وغيره الذي يتفاوت فيه الفصحاء ويتبارى فيه البلغاء، وفي هذا الصدد يقول عبد القاهر الجرجاني: "واعلم أن هذا-أعني بين أن تكون المزية في اللفظ، وبين أن تكون في النظم-باب يكثر فيه الغلط، فلا تزال مستحسننا قد أخطأ بالاستحسان موضعه، فينحل اللفظ ما ليس له، ولا تزال ترى الشبهة قد دخلت عليك في الكلام قد حسن من لفظه ونظمه، فظننت أن حسنه ذلك للفظ من دون النظم ²

ثم يحاول أن يثبت فكرته هذه بطرح أمثلة منها قول الشاعر:

سالت عليه شعاب الحي حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

"فإنك ترى هذه الاستعارة، على لطفها وغرابتها، إنما تم لها الحسن وانتهى إلى حيث انتهى، بما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير، وتجدها قد ملححت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها. وإن شككت فاعمد إلى الجارين والظرف، فأزل كلا منها عن

¹ عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص 74

² نفسه ص 98

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

مكانه الذي وضعه الشاعر فيه، فقل: سالت شعاب الحي بوجه كالدنانير حين دعاه أنصاره، ثم انظر كيف يكون الحال، وكيف يذهب الحسن والحلاوة؟ وكيف تعدم أريحيته التي كانت؟ وكيف تذهب النشوة التي كنت تجدها؟....¹

فقول عبد القاهر الجرجاني ينم عن أمرين:

الأول: أن فضل الاستعارة يكمن أولاً على المستوى الحرفي، أو الجانب التركيبي، وهو مقصوده بالتقديم والتأخير، والجار والظرف.

والثاني المستوى التعبيري أو البلاغي وما يؤديه معناها.

وأما بعدها التداولي فهو أكبر من أن يحصى "فهي تبرز هذا البيان أبد في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا"،² وتفصيل ذلك ما يلي:

- تزيين الكلام "فهي أمد ميدانا وأشد افتنانا وأكثر جريانا وأعجب حسنا وإحسانا" وهو ذو قصد تداولي يسهم في تحقيق التفاعل، وإحداث الانسجام من خلال عنصر التشويق.

¹ عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص 99

² نفسه ص 42

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

-الجدة: "ومن الفضيلة فيها أنها تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدة" وهي بهذا تبعد المعاني القديمة وتجعل المتلقي مُثار الانتباه ومحصور الفكر في البحث عن معناها والكشف عن مغزاها.

-الإيجاز: وذلك في قوله "أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ" حيث لا يستدعي المقام الإطالة فيسهل الفهم، ويكون الاتصال .

-التشخيص في قوله "فإنك ترى بها الجماد حياً ناطقاً" وهو عنصر يجعل من التلقي قادراً على الاستيعاب وجاهزاً للتفاعل والانقياد.

-التجسيم في قوله "إن شئت أرتك المعاني اللطيفة، التي هي من خبايا العقل، كأنها قسمت حتى رأتها العيون" فما تدركه العين ليس كما تدركه العقول، وهي بهذا تسهم إلى حد بعيد في الإفهام.

إن النظم الذي اعتبره عبد القاهر الجرجاني الأساس الذي تبنى عليه الاستعارة ليجد ما يماثله عند سيرل Searl وذلك من خلال تمييزه بين المعنى النحوي للجملة ، والمعنى التداولي الذي يتخذ قصد المتكلم أساساً له، ويشير بداية إلى أن هذين المعنيين يتطابقان في المنطوق الحرفي، أما في المنطوق الاستعاري فإن الأمر يختلف اختلافاً بيناً، ويمضى سيرل في تقسيم المنطوق الاستعاري منطلقاً من هذا التمييز إلى ثلاثة أنواع :

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

المنطوق الاستعاري البسيط، وفيه تقوم الاستعارة على الاستبدال المحدد لكلمة بكلمة أخرى، أي كلمة ملفوظة بأخرى مضمرة وتمثل المقصود المجازي، أو قصد المتكلم. وهذا ما يطرح عادة في الكلام، ويكون أساس بنائه الانزياح . المنطوق الاستعاري غير المحدد، وهو يتسم باتساع مجال المعاني التي يحتملها . المنطوق الاستعاري، إذ لا يتحدد المضمرة هنا في كلمة واحدة، بل يتشعب بين عدة دلالات مجازية يحتملها البعد المجازي الاستعاري. وهذا يتعدد ويتبارى فيه البلغاء ويتنافس فيه الفصحاء.

الاستعارة الميتة، وفيها يُهمل المعنى الأصلي للملفوظ، ليكون المعنى المجازي الاستعاري هو الملفوظ¹، فهي التي استخدمها الناس لفترة طويلة من الزمن بحيث أصبحت شائعة، " مما أدى إلى أننا لا نشعر فيها بالفرق بين الموضوع والصورة، أي أنه من غير المتوقع أن يشعر الكاتب أو القارئ بوجود أي صورة استعارية؛ لأن هذه الصورة قد اختفت نتيجة الاستخدام المتكرر. " ²

¹ John R. Searl : Metaphor , P 92

² عبدالله الحراسي : في ترجمة الاستعارة العربية، مجلة نزوى ، عمان، العدد3، 1995 ص 45

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

والابتدال هنا إنما هو معنى من معاني موت الاستعارة، التي وصلت إلى حد لا يجدي معه أنها اتسمت بالجدة والطرافة يوماً ما، كما لا يجدي معه المعايير العامة التي جاءت في بعض كتب البلاغة عن جودتها¹

والنوعان الأخيران هما ما عبر عنهما مورغن Morgan، فالأولى: "هي الحالة التي لم يقابلها الفرد من قبل، والتي ينبغي على الفرد أن يتخيلها، أما النوع الثاني والذي سوف أسميه (الاستعارة المخزنة)، فقط لإيجاد وسيلة للتحدث عنها، فهي الاستعارة التي يكون كل شخص ملماً بها، في طريقها لكي تصبح مصطلحاً ولكن تظل في الواقع، مفهومة مجازياً، والكثير من أمثلة سيرل Searl تأتي من هذا النوع، فعندما يتم إخبارك على سبيل المثال، أن شخصاً ما قدر (خنزير)، فإنك لن تستقبلها على أنها مشكلة استعارية جديدة لكي تتخيلها مجدداً من خلال قواعد سيرل Searl، فأنت تعرف بالفعل أن هذه العبارات قد استخدمت استعارياً لقول شيء ما من عادات شخص ما، ويستدعي هذه المعلومة في الحال، بالتعرف على العبارة، فالمرء يعرف

¹السكاكي، مفتاح العلوم، ص 184

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

في الحال ما هو المقصود بها ، فهذه استعارة إنشائية ، ومعرفة أن عبارة : (هو خنزير) تستخدم لتدوير عملية تخيل الاستعارة من المعنى الحرفي .¹

وعليه فإن أساس الاستعارة " عناصر لغوية وغير لغوية ، فالاستعارة فيما هي تعبير عن تصور ذهني تكون مرتبطة ارتباطا وثيقا بنظام اللغة الأصلية ، والتجربة الحياتية المستمدة منها الاستعارة مرتبطة أيضا بالنظم الاجتماعية ، الثقافية إضافة إلى النظام الأدبي في اللغة الأصلية ، ويتم تقبل الاستعارة من قبل قارئها في لغتها الأصلية من خلال التقبل الذهني لها إضافة إلى قدرة هذا القارئ اللغوية والثقافية ، ويعتمد تفسير الاستعارة على تصور القارئ، إضافة إلى تطور المجتمع الذي يعيش فيه ، وتلعب العوامل الشخصية مثل المهارة اللغوية والأدبية والتجربة الحياتية دورا مهما في تفسير الاستعارة ، إضافة إلى العوامل العامة التي تحكم تقبل المجتمع بأسره لهذه الاستعارة ."²

والمنقذ الوحيد في تفسير الاستعارة تداوليا هو السياق الثقافي ، " إذ شاع في السياق البلاغي العربي تشبيه الشجاع بالأسد ، وجمالَ العيون بعيون المها ، والمعان بالدينار ، والسواد بالليل ، ... ، وهذه القيم الجمالية التي يعبر عنها على هذه الشاكلة في اللسان العربي تجد لها تعبيرات مختلفة في سائر الألسنة ، وهذه التعبيرات كل في

¹ J. L . Morgan : Observations on the Pragmatics of Metaphor, P. 141

² عبدالله الحراصي : نظرات جديدة في الاستعارة والترجمة ، ص25

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

لسانه هي رصيد مشترك . ضمنى . بين متكلمي ذلك اللسان؛ يضمن تواصله واستمراره وجود المدونة الأدبية التي تحمل اللغة الصافية المعيارية التي تجسد تلك النماذج الكلية التي يستعيدها الشعراء وكتاب النثر الفني أو يطورونها، وتتحول تلك المستنسخات الشكلية تبعاً للذوق الأدبي العام، ولكيفية تلقي مستعملي تلك اللغة لها ودرجة استيعابهم إياها.¹

وأما الاستعارة التمثيلية: فيظهر فيها الفرق جلياً بين التركيب النحوي والتركيب الاستعاري، والذي يحدد الفرق، ويبرز الاختلاف هو السياق بمفهومه العام. ومن أمثلتها قول المتنبي:

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

فبدراسة التركيب النحوي، يتبادر إلى أذهاننا أن من كان فمه مريضاً لن يطيب له شيء، ولا يمكنه تمييز الحلو من غير.

وأما المستوى الاستعاري الذي يأخذ السياق في الحسبان، فإن مثل هذا البيت يقال: لمن لم يرزق الذوق لفهم الشعر الرائع

¹ صابر الحباشة : صور المعاني بين أوستين والجرجاني ، مجلة أفق ، تونس ، العدد 47 ،

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

والأبرز في الاستعارة وفق المفهوم التراثي أنها تتجاوز المفهوم التداولي القائم على التواصل إلى المفهوم الجمالي المثير للانتباه، والضامن للتفاعل، وهذا الأخير يكون باعتبار النظم وفق المفهوم الجرجاني حيث:

- أن المعاني لا تكتسب قيمتها في ذاتها، وإنما في طريقة تأديتها، مثال ذلك قول إبراهيم بن العباس:

فلو إذا نبا دهر، وأنكر صاحب وسلط أعداء، وغاب نصير
تكون عن الأهواز داري بنجوة ولكن مقادير جرت وأمور
وإني لأرجو بعد هذا محمدا لأفضل ما يرجى أخ ووزير

"فإنك ترى ما ترى من الرنق والطلاوة، ومن الحسن والحلاوة، ثم تتفقد السبب في ذلك، فتجده إنما كان من أجل تقديمه الظرف الذي هو إذ نبا على عامله الذي هو تكون، وأن لم يقل: فلو تكون عن الأهواز داري بنجوة إذ نبا دهر، ثم أن قال: تكون، ولم يقل كان، ثم أن نكر الدهر ولم يقل: فلو إذ نبا الدهر، ثم أن ساق هذا التنكير في جميع ما أتى من بعد، ثم أن قال: وأنكر صاحب ولم يقل: وأنكرت صاحباً لا ترى في البيتين الأولين شيئاً غير الذي عدده لك تجعله حسناً في النظم، وكله من معاني

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

النحو كما ترى. وهكذا السبيل أبدا في كل حسن ومزية رأيتهما قد نسبا إلى النظم،
وفضل وشرف أحيل فيهما عليه.¹

- أن الاستعارة تبرز المعنى في وضع أدق وفي صورة أصدق، كقوله تعالى " وَاشْتَعَلَ
الرَّأْسُ شَيْبًا " ويعلق صاحب الطراز تعليقا رائعا حين يقول " وإذا أردت أن تكحل
بصرك بمرود التخيل، والاطلاع على لطائف الإجمال والتفصيل، فاتل قصة زكرياء
عليه السلام، وقف عندها وقفة باحث، وهي قوله تعالى " قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ
مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا "² فإنك تجد كل جملة منها بل
كل كلمة من كلماتها تحتوي على لطائف وليس في القرآن المجيد حرف إلا وتحتته
سر ومصلحة، فضلا عما وراء ذلك.. من لطائف هذه الآية أنه كأنه قال إني وهنت
العظام مني، فترك ذكر البدن وجمع العظام، إرادة لقصد شمول الوهن للعظام ودخوله
فيها، وترك جمع العظام إلى أفراد العظم، واكتفى بإفراده فقال "إني وهن العظم مني"
وكأنه قال قد شخت، فإن الشيخوخة دالة على ضعف البدن وشيب الرأس، لأنها هي
السبب في ذلك لا محالة، فترك الحقيقة وهي قوله أشيب أو شاب رأسي، فإنه لا
يؤدي هذا المعنى بحال

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز 86

² سورة مريم 4

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ثم هذا الإجمال والتفصيل في نصب التمييز، فإنك إذا رفعت شيئا فقلت اشتعل شيب رأسي، لكان المعنى مخالفا عما إذا جاء منصوبا، فإن المبالغة في النصب بهذا التنكير دون غيره

ثم إنه ترك لفظ "مني" في قوله واشتعل الرأس شيئا، اكتفاء بذكرها في وهن العظم مني، كما أتى به في الأول بيانا للحال، وإرادة الاختصاص بحاله في إضافته إلى نفسه، ثم عطف الجملة الثانية على الأولى بلفظ الماضي، لما بينهما من التقارب والملاءمة، واعلم أن الذي فتق أكمام هذه اللطائف حتى فتحت أزرار أزهارها، وتعانقت أغصانها، وتآلفت أفنانها وتناسبت محاسن آثارها هو مقدمة الآية وديجتها، فإنه لما أفسح الكلام في هذه القصة البديعة بالاختصار العجيب بأن طرح حرف النداء من قوله "رب" وياء النفس من المضاف، أشعر أولها بالغرض، فلأجل تأسيس الكلام على الاختصار عقبه بالاختصار والإجمال، واكتفى بذكر هاتين الجملتين عما وراءهما"¹

¹ ينظر: العلوي: يحيى بن حمزة، الطراز، تح: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 (1995.1415) ص591.592.593

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

وقوله تعالى "وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ"¹ يعلق الرماني قائلا "وتنفس هاهنا مستعار وحقيقته إذا بدأ انتشاره، وتنفس أبلغ منه، ومعنى الابتداء فيهما، إلا أنه في النفس أبلغ لما فيه من الترويح على النفس" 2

فهذه الاستعارة "تطلق العنان للخيال يسبح في هذه الحياة البديعة الوديعه، وفي هذا الصبح الذي يتنفس فتتنفس معه الحياة، ويدب النشاط في الأحياء على وجه الأرض والسماء، والصبح مشهد مألوف متكرر في حياة الناس، ولكنها آيات الله البينات، وروائعه المحكمات، ما مست جامدا إلا نبض بالحياة، ولا عرضت مألوفاً إلا بدا جديدا خلافا، وتلك قدرة قادرة ومعجزة ساحرة، كسائر معجزات الحياة، وما أعجب الصبح عندما يأتي به التصوير القرآني حيا نابضا وكأن لم تشهده من قبل عينان"³
- أن الاستعارة قد تكون عامية، ورغم هذا يرفع النظم من شأنها ويعلي من قدرها مثال ذلك قول المتنبي

وقيدت نفسي في دارك محبة ومن وجد الإحسان قيذا تقيدا

¹سورة التكوير 18

²الرماني،النكت في إعجاز القرآن ص90

³صلاح الدين عبد النواب،الصورة الأدبية في القرآن الشركة المصرية العامة للنشر، ط1، 1995، ص65

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

وحقيقة الأمر أن "الرماني" أول من بين الأثر النفسي للاستعارة، وأحالتها من مجرد أمثلة وتعريفات إلى شيء فني جميل يؤثر في النفس تأثيرا بالغا¹ وأعاد عبد القاهر أفكاره وطورها

البعد التداولي في الكناية

أ- من حيث المفهوم:

الكناية لغة: أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنى عن الأمر بغيره يكنى كناية، إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه²

ف"المراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قولهم "هو طويل النجاد" يريدون طويل القامة... فقد أرادوا في هذا كله، كما ترى، معنى ثم لم يذكره بلفظه الخاص به،

¹ عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي ص 260

² ابن منظور، لسان العرب، مادة "كنى" ص 9944

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود وأن يكون إذا كان، أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد"¹

وهي " أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني، فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له، فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع، بمنزلة قول ابن أبي ربيعة:

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل أبوها وأما عبد شمس وهاشم

وإنما أراد هنا الشاعر أن يصف طول الجيد فلم يذكره بلفظه الخاص به، بل أتى إلى معنى هو تابع لطول الجيد، وهو بعد مهوى القرط"²

ومن خلال هذا التعريف نستنتج أن للمتكلم مجالاً للاختيار بين عديد الملفوظات من أجل تأدية معنى من المعاني، ومن أهمها اللجوء إلى ما يرادفها من الألفاظ، أو بعبارة أخرى، ما يكون مستلزماً لها، وهو ما عبر عنه بالتابع والمتبوع، فلا يذكر المعنى تصريحاً، وإنما تلميحاً. وهو ما جعل ابن المعتز يعتبر "التعريض بالكناية من محاسن الكلام"³

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز 66

² مقدمة بن جعفر، نقد الشعر، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 155.156

³ ابن المعتز، البديع، تحقيق اغناطيوس كراتشوفسكي، دار المسيرة، بيروت ط 3

(1402، 1982). ص64

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

ولعل هذا الأمر لا يخرج عن أساليب العرب، فكلامهم "إيماء وإشارة وتشبيه، يقولون فلان طويل النجاد. والنجاد حمائل السيف، وهو لم يتقلد سيفاً قط، وإنما يريدون أنه طويل القامة، فيدلون بطول نجاهه على طوله. لأن النجاد القصير لا يصلح على الرجل الطويل، ويقولون فلان عظيم الرماد، ولا رماد في بيته ولا على بابه، وإنما يريدون أنه كثير الضيافة"¹

وإن نزوع العربي إلى الكناية يكون من أجل مجموعة من الأغراض نذكر منها: ²

- التعمية والتغطية... ويكون من الكناية وذلك أحسنها، فلجوء العربي إليها حفاظاً على نفسه، خصوصاً إذا خاف الملاحقة، أو خشى الانتقام والمتابعة، فيكون ذلك طريقاً منه للتصل من المعنى الخفي ويتمسك بالمعنى الظاهر، ومثال ذلك قول أحدهم: الكلاب تتجول ليلاً، والغرض ليس الكلاب وإنما جنود المستعمر مثلاً.

- الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره وهنا يظهر البعد الأخلاقي في الكناية، فبعض المواقف تتطلب حياءً وتستدعي حشمة، وهذا أمر مما ألفته العرب واعتمدهته ومثاله قوله تعالى "أو لامستم النساء" فالمقصود باللمس ليست الملامسة المعروفة وإنما شيء آخر يعرفه كل عربي.

¹ ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مختلف الحديث، تح: أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، القاهرة، ط2، (1430، 2009) ص 311.312

² انظر: المبرد، الكامل ج2 ص858-855.

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

- التفخيم والتعظيم، ومنه اشتقت الكنية وهو أن يعظم الرجل أن يدعى باسمه: وهنا يظهر البعد الاجتماعي، فعدم ذكر الرجل باسمه والاستعاضة عنه بكنيته يدخل في باب التبجيل

البعد التداولي للكناية من خلال الأنواع:

تنقسم الكناية باعتبار المكني عنه وفق المفهوم البلاغي القديم ثلاثة أقسام:

أن يكون المكني عنه صفة: مثل: "فلان كثير الرماد". كناية عن كرمه؛ يعني:

يدل على كثرة الضيفان، وكثرة الطعام، وكثرة الإيقاد، وهذا كناية عن الكرم

أن يكون المكني عنه موصوفا: كقول الشاعر:

الضاربين بكل أبيض مخدم والطاعنين مجامع الأضغان

ففي هذا المثال أراد الشاعر وصف ممدوحيه بأنهم يطعنون القلوب وقت الحرب

فانصرف عن التعبير بالقلوب إلى ما هو أملح وأوقع في النفس وهو "مجامع الأضغان

"، لأنَّ القلوب تُفهم منه إذ هي مجتمع الحقد والبغض والحسد وغيرها.

أن يكون المكني عنه نسبة: كقول الشاعر:

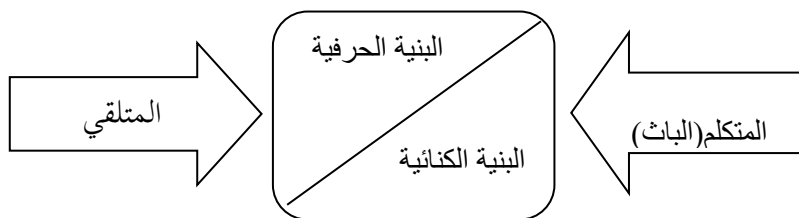
إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

ففي هذا البيت أراد الشاعر أن ينسب السماحة والمروءة والندى فعدل عن نسبتها إليه

مباشرة، ونسبها إلى مكانه وهو القبة المضروبة عليه

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

وإذا حاولنا أن نسقط هذه المفاهيم وفق ما تقتضيه التداوليات الحديثة، نجد أن المقصود بالمعنى عنه هو ما يعرف بالمستلزم حواريا عند "جرايس"، حيث يتم الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى الثاني غير المباشر عن طريق مجموعة من الاستنتاجات التي يقوم بها المتلقي ليصل إلى المعنى المقصود. أو المستخلص حواريا وهو لا يخرج عن كونه صفة أو موصوفا أو نسبة كما حدد سابقا ويمكننا شرح لك بنية الكناية وفق الطرح التداولي بالمخطط التالي:



المستلزم الكنائي

ويفسر عبد القاهر هذا المخطط بقوله: "إذا نظرت إليها وجدت حقيقتها ومحصل أمرها أنها إثبات لمعنى، أنت تعرف ذلك المعنى من طريق المعقول دون طريق اللفظ. ألا ترى أنك لما نظرت إلى قولهم: "هو كثير رماد القدر"، وعرفت منه أنهم أرادوا أنه كثير القرى والضيافة، لم تعرف ذلك من اللفظ، ولكنك عرفتته بأن رجعت إلى نفسك فقلت: إنه كلام قد جاء عنهم في المدح، ولا معنى للمدح بكثرة الرماد، فليس إلا أنهم أرادوا أن يدلوا بكثرة الرماد على أن تنصب له القدور الكثيرة، ويطبخ فيها

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

للقرى والضيافة. وذلك لأنه إذا كثر الطبخ في القدور؛ كثر إحراق الحطب تحتها. وإذا كثر إحراق الحطب تحتها؛ كثر الرماد لا محالة، وهكذا السبيل في كل ما كان "كناية" ¹

وفي هذا إشارة واضحة وبيان صريح أن الأصل في الكناية هو المعنى ولا علاقة للفظ في ذلك بأي مزية ولا فضل.

ويقول في موضع آخر "وإذ قد عرفت ذلك، فإذا رأيتهم يجعلون الألفاظ زينة للمعاني وحلية عليها... وأن المعرض وما في معناه، ليس هو اللفظ المنطوق به ولكن معنى اللفظ الذي دللت به على المعنى الثاني" ²

ثم يقول: "وجملة القول أن صور المعاني لا تتغير بنقلها من لفظ إلى لفظ حتى يكون هناك اتساع ومجاز، وحتى لا يراد من الألفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة، ولكن يشار بمعانيها إلى معان أخرى... فأما إذا تغير النظم فلا بد حينئذ من أن يتغير المعنى" ³

ويقر عبد القاهر-وهو ما أضافه- أن مزية الكناية ليست في المعنى ذاته، وإنما في طريقة إثباته "اعلم أن سبيلك أولاً أن تعلم أن ليست المزية التي تثبت لها هذه الأجناس

¹ نفسه 431

² نفسه ص 263

³ نفسه ص 265

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

على الكلام المتروك على ظاهره، والمبالغة التي تدعي لها في أنفس المعاني التي يقصد المتكلم إليها بخبره، ولكنها في طريق إثباته لها وتقريره إياها¹ ويحاول عبد القاهر أن يفصل ذلك فيقول "فإن السبب في أن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح؛ أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه، أن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، أكد وأبلغ في الدعوى من أن تحيء إليها فتبنتها هكذا ساذجا غفلا. وذلك أنك لا تدعي شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف، وبحيث لا يشك فيه، ولا يظن بالمخبر التجوز والغلط"²

ولهذا في "الكناية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، ولها من أسباب البلاغة في ميدان التصوير الأدبي ما يجعلها دائمة الإشراق، واضحة المعالم، دقيقة التعبير والتصوير، فهي تأتي بالفكرة مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طيها برهانها، ومما لا شك فيه أن ذكر الشيء يصحبه برهانه أوقع في النفس وأكد لإثباته"³

¹ عبد القاهر، دلائل الإعجاز ص 71

² نفسه ص 72

³ إبراهيم مصطفى وآخرون، البيان، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر 1952 ص 60

خاتمة

من خلال كل ماتم طرحه يمكننا الخروج بالنتائج التالية:

إن المفاهيم التي يطرحها الدرس اللغوي الحديث عموماً والتداولية خصوصاً محاولة منه في فهم اللغة واستكناه تفاصيلها ليجد له الأثر المباشر في كل ما يطرحه الدرس البلاغي الحديث، والاختلاف يكمن في أمرين:

1- اختلاف الآليات التي يعتمدها كل طرف؛ فإذا حكم على البلاغة بالمعيارية، فإن هذا الانتقاد يمكن إسقاطه على ما أتى به السكاكي الذي أغلق بمفتاحه الفضاء الرحب للبلاغة وخذقها في زاوية الصواب والخطأ، أما البلاغة الحقيقية والتي أكمل بناءها عبد القاهر الجرجاني، فإنها تتجاوز المفاهيم التداولية الحديثة، كونها امتدت إلى ما بعد مقاصد المتكلمين، وهي العتبة الأخيرة التي توقفت عندها التداولية.

2- يمكننا أن نقول إن الاختلاف الثاني شكلي، فهولا يتعدى مجرد التسميات، حيث إن ما طرحه لفظاً ليجد له المعنى المناسب في كل ما تتبناه البلاغة العربية، فمثلاً: الاستلزام الحوارية هو جزء من المقام، ومبدأ التعاون ومقصد المتكلم كلاهما يدخل في الأغراض البلاغية، وهو ما تم التعمق فيه إلى أبعد حد.

والنتيجة الأخيرة هي أن الدرس اللغوي الحديث وفي مرحلته الثالثة-مرحلة التداوليات- قد وصل إلى بداية الطريق التي سلكتها البلاغة العربية، ولهذا فعلى الإقرار أن مشواره طويل، والوصول إلى ما وصلت إليه البلاغة العربية ليس بالأمر اليسير.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

أ- باللغة العربية

- 1- إبراهيم مصطفى وآخرون، البيان، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر 1952
- 2- الآمدي، الموازنة تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط4، 2009.
- 3- أحمد علي دهمان: الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منشورات وزارة الثقافة، سوريا ط، 2000.
- 4- أحمد صبرة: التفكير الاستعاري في الدراسات الغربية، دار الصديقان للنشر والإعلان، الاسكندرية 1998م
- 5- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة لبنان، ط2، 2010 .
- الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، المغرب ط1، 1985
- الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2003
- 8- أحمد مومن، اللسانيات: الشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ط4، 2008
- 9- أمبيرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

- 10- أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة- كيف ننجز الأشياء بالكلام- تر: عبد القادر قينيني، افريقيا الشرق 1991،
- 11- بدوي طبانة، البيان العربي، دار المنار، الرياض 1998
- 12- التفتازاني: سعد الدين بن عمر، المطول، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، مصر، 2007
- 13- جابر عصفور، الصورة الفنية، في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1992
- 14- الجاحظ، البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7 (1418هـ، 1998م)
- 15- جاك موشلار، بن رويول، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دقوس، محمد اشيباني
- 16- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر، ط3 (1413، 1992)
- 17- جميل حمداوي، السيموطيقا والعنونة، عالم الفكر، ع3، مج 52، يناير 1997م،
- 18- ابن جني، الخصائص تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر بيروت.
- 19- ابن جني، المحتسب تحقيق علي ناصف عبد الفتاح شلبي، القاهرة، 1414 .
- 1994

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

- 20- جورج بول، التداولية، تر: قصي العتاي، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط1
(2010،1431)
- 21- جورج بول، براون، تحليل الخطاب، تر: منير التريكي وآخر، جامعة الملك
سعود، 1997
- 22- جون ليونز، اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون
الثقافية العامة، بغداد، العراق ط1، 1987
- 23- جون سيسون، جيمس موراي، قاموس أوكسفورد، جامعة أوكسفورد
- 24- الجيلالي دلاش : مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان
المطبوعات الجامعية، الجزائر 1992
- 25- جيفري سامبسون: المدارس اللغوية، التطور والصراع، تر: أحمد نعيم الكراعين،
المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1993
- 26- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر ط1،
2009
- 27- خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1،
2009
- 28- الدسوقي، ضمن شروح التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان
- 29- دنجا طويبا كوركيس، البراغماتية الفائدتية، جامعة جدار للدراسات العليا، الأردن

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

- 30-الرماني: أبو الحسن علي بن عيسى: النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصرط3، 1974 .
- 31-الزمخشري، أساس البلاغة، تح:محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، 1988
- 32-الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة للطباعة، بيروت
- 33-ساهر بوعزة، جدلية العلم والعقل، منشورات دار التوحيد، 2007
- 34-سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار، سورية ط3، 2012
- 35-السكاكي: أبو يعقوب يوسف،مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2(1987.1407)
- 36-ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1952
- 37-سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988
- 38-شاهر الحسن، علم الدلالة بين السيمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، دار الفكر، الأردن، ط1، 2001
- 39-الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

- 40-شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، جامعة الآداب، تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية،
- 41-صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1993
- 42-صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الشركة المصرية العامة للنشر، ط1، 1995،
- 43- ابن طباطبا: محمد بن أحمد، عيار الشعر، تح:محمد زغلول سلام، دار المعارف، الاسكندرية.
- 44-طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط2، 2000
- 45-عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية-بنية الجملة العربية- دار الحامد للنشر والتوزيع، 2004
- 46-عبد العزيز عتيق، علم المعاني دار النهضة، بيروت لبنان (1985.1405)
- 47-عبد القادر حسين، أثر النحاة دار غريب، القاهرة، 1998.
- 48-عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة
- 49-عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2001
- 50-عبد الهادي بن ظفر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

- 51-العسكري: أبو هلال أبو أحمد الحسن بن عبد الله، الصنائع، تحقيق مفيد قمجة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط2(1409هـ-1989م)
- 52-العلوي: يحيى بن حمزة، الطراز، تح:محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1(1995.1415)
- 53-علي عشري زايد: البلاغة العربية (تاريخها، مصادرها و مناهجها)، ط5، مكتبة الآداب ، القاهرة، 2006.
- 54-علي محمود رجحي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، مصر، ط1، 2010.
- 55-عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف ط1، 2003
- 56-الفارابي: أبو نصر، كتاب الحروف، تح محسن مهدي، بيروت، دار المشرق، ط،1990
- 57-الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط3، (1403هـ، 2009م)
- 58-فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، 1986
- 59-فارديناند دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، العراق 1988
- 60-ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1997،1418)

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

- 61- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، ط2، 1991.
- 62- فان ديك، النص والسياق، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 2000
- 63- ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مختلف الحديث، تح: أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، القاهرة، ط2، (2009،1430)
- 64- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، ط3،
- 65- قدامة بن جعفر، نقد النثر تح: عبد الحميد العباري مع تقديم طه حسين، دار الكتب العلمية، بيروت (1995.1416)
- 66- القزويني، الإيضاح القزويني: جلال الدين محمد بن عبد الرحمان، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، (2003.1424). ص 26.25
- 67- القيرواني أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، سوريا ط.5، 1981
- 68- المبرد: أبو العباس، المقتضب، تح: عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، د ت المبرد: أبو العباس محمد بي يزيد، الكامل، تح: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط 2 (1992،1412)
- 69- ابن المعتز، البديع، تحقيق اغناطيوس كراتشوفسكي، دار المسيرة، بيروت ط 3 (1982،1402).
- 70- ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، (2013،1434)

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

- 71-محمد حسنين أبو موسى، دلالات التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، منشورات جامعة قاربوس، ط1، مصر1979، ص123
- 72-محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان ط1، 2004 .
- 73-المدارس اللسانية، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2004
- 74-محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 2005
- 75-المرزباني: أبو عبيد الله محمد بن عمران، الموشح، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، مصر
- 76-مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ط1، 2005
- المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، ط3 77-
- 78-نعيمه الزهري: الأمر والنهي في العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، مطبعة المعارف الجيدة، الرباط1997
- 79-وداد الحاج حسن، نهاية الوضعية المنطقية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2001

باللغات الأجنبية

- 1-Charles Morris : “Fondements de la théorie des signes”, in Langages, 1974
- 2-Charles senders Peirce : Ecrits sur le signe. Ed. Seuil, Paris,

3-George elia sorfati.precis de pragmatique.edition nathran.paris

4-Jaque moaschler. ana reboul.dictionnaire encyclopidique de pragmatique .edition seuil1994

5- J. L . Morgan : Observations on the Pragmatics of Metaphor.

6-Jean claude anscombe et oswaldducrot .l'argumentation dans la langue .pierre mandage .edition Belgique

7-John R . Searle : Les actes de Langage, trad,Fr par : Hélène Pauchard, Hermann, Paris 1972.

8-Oswald ducrot.dire et ne pas dire.principes de semantique linguistique.edition hermann 2^{eme} edition.paris 1980

9-Perelman chaim et Tyteca lucie Olbrechts.traité de l'argumentation.la nouvelle rhétorique.édition de l'université de Bruxelles.5^{eme} edition.1992 .

10 warnok ,g : j . L . austin, routledge, london and new york 1991

فهرس الموضوعات

1	الباب الأول: التداولية: مفهومها أصولها ونظرياتها
2	الفصل الأول: تعريف التداولية
2	1- لغة
2	أ- عند العرب
4	ب- عند الغرب
7	2- اصطلاحا
	علاقات التداولية باللسانيات
12	علاقته بعلم النحو والنحو الوظيفي
13	علاقته بعلم الدلالة
14	علاقتها باللسانيات النفسية
15	علاقتها باللسانيات الاجتماعية
15	علاقتها باللسانيات النصية وتحليل الخطاب:
16	علاقتها باللسانيات التعليمية:
18	الفصل الثاني: أصول التداولية
18	1- الفلسفة التحليلية
20	أ- جورج إدوارد مور
20	ب- برتراند راسل
21	2- فلسفة الوضعية المنطقية

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

- 21 2- حلقة فيينا
- 23 3- فيتغانشتاين والتحليل المنطقي في الرسالة
- 25 4- أوستن
- 26 5- العلامة عند شارلز سندرس بيرس
- 34 6- العلامة عند شارل موريس
- 37 7- أطروحة الفعل اللغوي عند أوستن
- 48 8- تصور (جرايس) مرحلة الفعل غير المباشر
- 56 **الفصل الثالث: النظريات التداولية**
- 56 نظرية الملاءمة
- 60 نظرية الافتراض المسبق
- 64 النظرية الحجاجية
- 65 أ- بيرلمان وتيتيكا
- 66 ب- النظرية الحجاجية عند تولمين
- 68 ج- الحجاج عند انسكونبر وديكرو
- 72 **الباب الثاني: البعد التداولي في المباحث البلاغية**
- 73 **الفصل الأول: في تداولية مباحث علم المعاني**
- 74 تداولية الكلام بين الخبر والإنشاء
- 74 البعد التداولي في الخبر
- 79 البعد التداولي في مباحث الإنشاء
- 93 البعد التداولي في مقتضيات الإسناد الخبري
- 93 أ- من خلال التعريف:

في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب

94	ب-من خلال الأغراض
96	ج-من خلال أضرب الخبر
97	البعد التداولي في مقتضيات الذكر والحذف
105	البعد التداولي في مقتضيات التعريف والتنكير
113	البعد التداولي في مقتضيات التقديم والتأخير
128	الفصل الثاني: البعد التداولي في مباحث علم البيان
132	البعد التداولي في قضايا التشبيه:
134	أ-البعد التداولي في مفهوم التشبيه وتفرعاته
140	ب-البعد التداولي للتشبيه من خلال الأغراض
143	البعد التداولي في الاستعارة:
160	البعد التداولي في الكناية:
160	أ-من خلال المفهوم
163	ب- من خلال الأنواع:
167	خاتمة
168	قائمة المصادر والمراجع
177	فهرس الموضوعات

في تداوليات الخطاب

دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب



الدكتور بلخير ارفيس

لدكتور بلخير ارفيس أستاذ جامعي وباحث أكاديمي بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة-الجزائر- منذ 2006 متخصص في الدراسات البلاغية وتحليل الخطاب، رئيس فرقة بحث "التلقي والتأويل ين سلطة القراءة وفضاء المشاهدة"، لديه العديد من المشاركات والمنشورات الدولية والوطنية.

ومن كتبه المنشورة:

- البلاغة العربية - بحث في الأصول والامتدادات

نظرية النظم بين الأصل النظري والبعد الفكري

ومن كتبه التي هي قيد الطبع:

- في اللسانيات وعلم الأسلوب

- في المناهج النقدية وتحليل الخطاب- مقدمة للقارئ العربي-



البدر الساطع للطباعة والنشر
EL-BADR ESSATIE IMPRESSION ET EDITION

ISBN : 978-9931-513-58-2



9 789931 513582

البدر الساطع للطباعة والنشر

العلمة - 19600- الجزائر

هاتف/فاكس : 036 76 40 08

النتقال : 05 55 71 30 53 / 07 70 31 16 56

البريد الإلكتروني : elbadr_essatie@yahoo.com